محاضرةٌ علميَّةٌ نادرةٌ:

شهود المنة

ببيان

جهود دعاة السنة



ألقاها

الشيخ العلامة الإمام

محمد ناصر الدين الألباني

- رحمه الله -

في (مركز جماعة أنصار السنة المحمديَّة) - القاهرة - (جمهورية مصر العربيّة) -

يوم السبت : ٥- ربيع الأول - (١٣٨٠) - هجرية -

الموافق : ٢٧- أغسطس - (١٩٦٠)

تقديم

العلامة الشيخ محمد حامد الفقي

- رحمه الله - تعالى -

تعليق

علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي الأثري

- عفا الله عنه -



محاضرةٌ علميَّةٌ نادِرةٌ:



ألقاها

الشيخ العلامة الإمام

محمد ناصر الدين الألباني

- رحمه الله -

في (مركز جماعة أنصار السنة المحمديَّة)

-القاهرة- (جمهوريّة مصر العربيّة) -

يوم السبت : ٥- ربيع الأول- (١٣٨٠) - هجرية -

الموافق : ٢٧ - أغسطس - (١٩٦٠)

تقديم

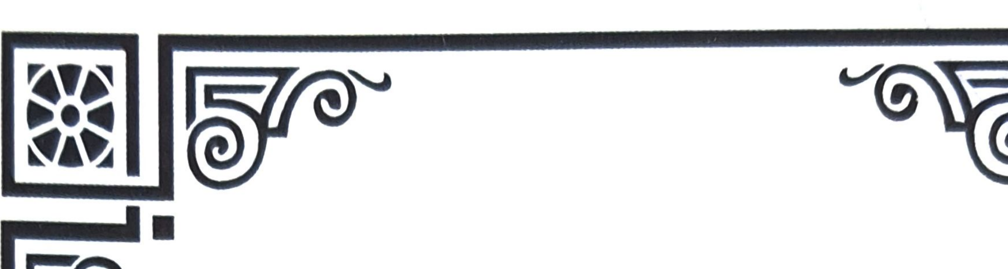
العلامة الشيخ محمد حامد الفقي

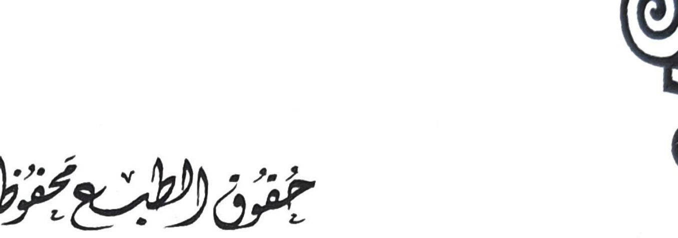
- رحمه الله - تعالى -

تعليق

علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي الأثري

- عفا الله عنه -





الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع

(دار وقفية دعوية)

المدير العام : د/ فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com

الإدارة : مجمع المخيال - هاتف رقم : ٠٠٩٦٥٩٦٩٩٩١٨٢ الكويت .

الفرع الأول : الجهراء - مجمع الخير - الدور الاول مكتب ١٠هاتف ٢٤٥٥٧٥٥٩

الفرع الثاني : حولي - شارع المثنى ، هاتف وفاكس : ٢٢٦٤١٧٩٧








مطبعة زهران - القاهرة

ت : 002-0225107554 - 002-01220202208

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ؛ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلاَ هَادِيَ لَه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار.

وبعد:

فإنَّ أصلَ هذه الرِّسالةِ -كما تَرَوْنَ- مُحاضرةٌ قيِّمةٌ -نادرةٌ-، ألقاها -قبلَ أكثر مِن نِصفِ قَرنٍ- سماحةُ أُستاذنا العلّامة الإمام المُحدِّث الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني -رحِمَهُ اللهُ -تعالى-.

وكان مَكانُ إلقاء هذه المُحاضرةِ القيِّمةِ: مدينةَ (القاهرة) -عاصمة الدِّيار المِصريَّة -في (المركز العام لجماعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة).

وهي مُحاضرةٌ نافعةٌ؛ ذَكَرَتْ مَسائلَ علميَّةً كثيرةً مُتعلِّقةً بالتَّوحيدِ والشِّركِ، والسُّنَّة البِدعة.

وذَكَرَت -كذلك- أحوالًا مهمّةً تتعلّق بالدَّعوة السّلفيَّة في (سورِيَة) -عُمومًا-، والأوضاع الصَّعبة التي عانَى منها شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ -يومَذاك- خُصوصًا-.

وقد ذَكَرَت مجلَّةُ «الهَدْي النَّبويّ» -الصَّادِرة في (القاهرة)- المصريَّة- (مجلَّد: ٢٢/ عدد: ٤-٢٥/ ربيع الآخر -سنة ١٣٨٠هـ) تَوثيقًا لزيارة شيخِنا، وبيانًا لِـمُجْمَلِ موضوعِ محاضرتِه -هذه- في باب (أخبار الجماعة)- تحت عُنوان: (ضيف كبير)-ما نَصُّهُ-:

«اختار الوزيرُ الشّابُّ (أحمد عبد الله طُعَيمة)[1] -وَزير الأوقاف- أخانَا السَّلَفِيّ العالِمَ الجليلَ مُحدِّثَ دِمَشقَ العظيمَ **محمد ناصر الدِّين الألباني**: عُضوًا بلجنة الحديث في (المجلس

---

(١) تُوُفِّي -رَحِمَهُ اللهُ- سنة (١٤٢٤هـ) عن واحدٍ وثمانين عامًا.

وَقَد وَصفَهُ الشيخُ محمد الغزالي -رَحِمَهُ اللهُ- في «مُذكّراته»- بقولِه:

«رجلٌ عسكريٌّ وَلِيَ (وزارة الأوقاف)... لم أرَ مِثلَه حُبًّا في الخير، ورغبةً في خدمة الإسلام، وحماسًا في فتح المساجد، ودعمِ الدّعوة، وتذليلِ العَقَبات أمامَها...».

الإسلامي الأعلىٰ)[١].

وقد صادف الاختيارُ أهلَه، فالشيخُ ناصرٌ مِن أفضلِ القائمِينَ على خِدمة السُّنَّة النبويَّة المُطهَّرة، وأجلِّهم شأنًا.

ومكانتُه -في هذا الميدان- يعرفُها ويُقدِّرُها -حَقَّ قَدْرِها- كُلُّ مَن رُزِقَ حظًّا مِن محبَّة السُّنّة النبويَّة الشريفة.

وقد تفضَّل الأخُ الكريمُ ناصر الدِّين بزيارة دار الجماعة، وأَلْقَى فيها عدَّةَ عِظاتٍ بيِّناتٍ».

قُلْتُ:

والمحفوظُ مِن هذه (العِظاتِ البيِّنات) -صوتيًّا- فقط -فيما أعلمُ[٢]-: هذه المحاضرةُ العلميَّةُ النادرةُ؛ الّتي بَيْن يدَيك -أخي القارئ- تَفريغُها وتَحقيقُها.

---

(١) وهي الجهة العلميَّة الّتي أشرفَت -حينئذٍ- على تأليف وإصدار «موسوعة الفقه الإسلامي».

وقد صَدَرَ منها -إلى سنة (١٤١٨هـ) ستّةٌ وعشرون مُجلَّدًا- فيما أعلم-.

(٢) ومَن عندَه علمٌ بالمزيد مِنها؛ فَلْيَصِلْنا بها -جزاهُ اللهُ خيرًا-.

ثم قالُوا -في اتِّجاهٍ آخرَ-:

«كما أقامَت الجماعةُ حَفْلَ تَكريمٍ له [أي: للشيخ الألباني] بدارِها؛ شَهِدَهُ الكثيرُ مِن مُقدِّرِي الشيخ، وعارِفي فَضْلِه -مِن شُيوخ الأزهر، ورُؤساء الإدارات -في الوزارات-، ورُؤساء الجماعات الدِّينيَّة، وبعضِ الضُّبَّاط.

وقد ألقَى كلمةَ التَّرحيبِ[1] بالشيخِ الجليلِ الأَخَوانِ الأُستاذ الشيخ محمد خليل هَرَّاس، والأُستاذ رشاد الشافعي.

كما قامَ الأُستاذُ الشيخُ محمد الغزاليّ -مُدير المساجد-، وألقَى كلمةَ تَرحيبٍ -أيضًا-.

وكان حَفْلًا عظيمًا بما تَخَلَّلَهُ مِن أحاديثَ دينيَّةٍ، ومُناقشاتٍ علميَّةٍ تَستهدفُ خيرَ الإسلامِ والمُسلمين».

وعَقِبَ ذلك ذَكَرُوا -رحمهُم اللهُ- خَبَرَ قيامِ الشَّيخ الألبانيِّ بزيارةِ مُحافظة دُمياط -المصريَّة-، وإلقائِه مُحاضرةً فيها -قائلين-:

---

(١) والظّاهرُ أنَّ هذا الأمرَ -وما إليه- كان في غير مَقام هذه (المحاضرة).

«ثُمَّ قامَ الأخُ المُحدِّثُ الكبيرُ الشَّيخُ محمد ناصر الدِّين الألباني -شيخُ السلفيِّين في دمشق-، وألقَى كلمةً فيَّاضةً حولَ «**كُلّ بِدعة ضلالة**»[١]، ثم قام الأخُ الشيخُ محمد نَسيب الرِّفاعي[٢]- شيخ السلفيِّين في حلب-، وأَلْقَى كلمةً رائعةً عن (الوحدة) بين الإقليمَين (سُورِيَة ومِصر)[٣]؛ مُبيِّنًا أنَّ السَّعيَ إلى الوِحدةِ الكُبْرَى هو السُّلوكُ الجادّ للسَّلَفِيِّين -جميعًا- في (حلب) -وغيرها-؛ لأنَّ الإسلامَ هو دينُ الوحدةِ القويَّةِ المَتينةِ؛ لأنّه دينُ التَّوحيدِ الخالصِ الحقِّ؛ فهُم لا يَرَوْنَ هذه (الوحدةَ) عَمَلًا وطنيًّا! وإنّما هو -قبل ذلك، وفوق ذلك- عملٌ دينيٌّ عظيمٌ يجبُ أنْ يَقومَ به كُلُّ مُسلمٍ».



(١) وفي هذه «المحاضرة» إشاراتٌ عِدَّةٌ -مهمَّةٌ- حول هذا الحديثِ.

(٢) انظُر ما سياتي في هذا الكتاب (ص٢٣).

(٣) وذلك قبل أكثر مِن نِصفِ قَرن!

ثُمّ ما لَبِثَت هذه (الوحدةُ!) أنْ تَفَتَّتَ -ولا حولَ ولا قُوّةَ إلّا بالله-!!

نبـذة

عن بعض مؤلفات الإمام الألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ-

وفي العدد التالي -مِن «مجلّة الهدي النبوي» -نَفْسِها-: (مجلَّـد ٢٢/ عـدد٤/ ص٤٩)، وتحـت عُنـوان: (الـشيخ نـاصر الـدِّين الألباني)[١] -كَتَبُوا -ما نصُّهُ-:

«ذَكَرْنا في العدد الماضي -في (باب أخبار الجماعة)-: نبَأَ زيـارة الأُستاذ العلّامة المحدِّث محمد ناصر الدِّين الألباني لـدار الجماعـة، وبعض الفروع.

ونزيدُ -اليومَ- أنّه: تفضَّلَ فأهدَى مَكتبة (المركز العام لجماعـة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة) بعضَ مُؤلَّفاتِه.

---

(١) أسوقُه -بتمامِه- لِـمَا فيه مِن فائدةٍ زائدة.

ونَذكُرُ منها:

١ - «تحذير السّاجد مِن اتِّخاذ القُبور مساجد»:

رسالةٌ قيِّمةٌ حاويةٌ لكثيرٍ مِن الأحاديث النبويَّة الصّحيحة الّتِي تُفيدُ تَحريمَ الصَّلاة في المساجد الّتي على القُبور -أيًّا كان المَقبورُ- نبيًّا، أو وليًّا، أو مِن الصَّالحين -أو مِن غيرِهم-.

وذَكَرَ مصادرَ الأحاديث وطُرُقَها.

ولَم تَفُتْهُ في ذلك شاردةٌ، ولا وارِدَةٌ.

٢ - «آداب الزِّفاف»:

وهذه رسالةٌ أُخرَى، بل كتابٌ قيِّمٌ، جَمَعَ فيه الأُستاذ ناصر الدِّين أحاديثَ الرّسول ﷺ، وإرشاداتِه في آداب الزِّفاف، وما تُقامُ مِن المآدِبِ والولائمِ لذلك.

ولَم يَفُتْهُ أنْ يَذكُرَ ما يَجوزُ وما لا يجوزُ مِن الحُلِيِّ للنِّساء، ومَقاديرِ ذلك وأنواعِه.

بأدلَّةٍ وأسانيدَ في مُنتهَى القُوَّةِ والحُجَّةِ.

وبالجُملةِ؛ فالرِّسالةُ جامعةٌ لِـمَا يَحتاجُ إليه المُسلمُ في هذا البابِ -آداب الزِّفاف-.

٣- «الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة، وأثرُها السيِّئ في الأُمّة»:

أَصدرَ الأُستاذ ناصر الدِّين (الجُزءَ الأوَّلَ) مِن هذه «السِّلسلة» -الّتي سَيَبْلُغُ عددُ أجزائِها العشرةَ[1]-.

ويَبلغُ عددُ صفحاتِ هذا (الجُزء) قريبًا مِن المئة والثلاثين صفحة -مِن القطع الكبير- في طَبْعٍ جيِّد أنيق.

وقد نَهَجَ الأُستاذُ فيه مَنهجًا لَم يَسْبِقْهُ إليه أحدٌ- فيما نَعْلَم-:

أ- فهو يأتي بالحديث الضَّعيف أو الموضوع، فيذكُرُ مَصادِرَهُ.

ب- ثُمّ يأتي على سَنَدِه ورجالِهِ فيذكُرُ ما عَلِمَهُ عنهُم، ومَن ضعَّفَه أو وَضَعَهُ.

ج- ثُمّ ما يكونُ مِن نتيجةِ رَواجِ ذلك الحديث عند عامَّةِ

---

(١) وهي -في نهايةِ أَمْرِها- كانت أكثرَ مِن ذلك -كما سيأتي بيانُهُ- (ص٦٩)-.

المُسلِمين، وما يَتْرُكُهُ مِن الأَثَرِ السيِّئِ في الدِّين، وفي المُسلِمِين.

وبالجُمْلَةِ؛ فالكتابُ وَحيدٌ في بابِهِ، جديرٌ بالاطِّلاعِ عليه كُلُّ عالِمٍ أو مُتعلِّمٍ.

وسَنَنْشُرُ عن بقيَّةِ الكُتُب والرَّسائلِ في الأعدادِ القادمةِ[1] -إنْ شاءَ اللهُ-.

«الهدي النبوي»

«توجد مُؤلَّفات الأستاذ الألباني بمكتبة (أنصار السُّنّة المحمَّديَّة) -بالمركز العامّ-»[2].

---

(١) ولَم أَقِف -في المجلد الثالث والعشرين- على شيءٍ مِن ذلك -واللهُ أعلمُ-.

(٢) **قال عليُّ بنُ حَسَنٍ الحلبيُّ -مُحقِّقُ هذا الكتاب- عَفَا اللهُ عنهُ-:**

... هذه هي الرِّسالةُ المُبارَكةُ بَيْنَ أيدِيكم -إخواني القُرَّاء الأفاضِل-؛ تَسْتَمْتِعُون بها، وتَستفيدُون منها.

راجيًا أنْ لا تَنْسَوْنِي -وشيخَنا، وسائرَ مشايخِنا- قَبْلًا- مِن دَعواتِكم- في خَلَواتِكُم وجَلْواتِكم- بالرَّحمةِ، والعفو، والمغفِرَة.

واللهُ المُوفِّق -لا رَبَّ سِواه-.

وآخِرُ دَعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين.

عمّان - الأردن

٢٧ شعبان ١٤٣٤هـ

مقدّمة
الشيخ محمد حامد الفقي
-رحمه الله-

يحاضرُنا -اليومَ- ضيفُنا الكريم فضيلة الأستاذ الشَّيخ أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني.

وبعد:

فيسرُّني -أيها الإخوان- أن أقدِّمَ إليكم مهاجِرًا في سبيل الله، ومجاهدًا في سبيل الله؛ هو الأخ السَّلفي العالِمِ الجليل الشَّيخ محمد ناصر الدين الألباني.

هذا الرجلُ المعروفُ بسلفيَّته الوثيقة، وجهاده في سبيل الكتاب والسنة؛ أبى إلا أن يُشرِّف دارَكم -الليلةَ-، ويسعى إليكم

سعيَ الأخ المشتاق إلى إخوانه المشتاقين -أيضًا- إليه.

وسيقولُ لكم تحيَّةً:

هو يقولُ: إنه ما زوَّر[١] في نفسِه كلامًا يقوله -الليلةَ-، ولكنه -إن شاء الله- سيقولُ لكم شيئًا عن شعورِهِ نحوكم.

وأسألُ الله أن يقرِّب -دائمًا- بين المسلمين في جميع أقطار الأرض.

وأحبُّ أن أقولَ لأخي الجليل:

إنّ (أنصار السنة) -ها هنا- قائمون على كتاب الله -حُفّاظًا[٢] على سُنّة رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام-؛ رُغْمُ ما يُشيعه عنهم الخرّاصون -مثلًا- بأنهم وهّابيون! وبأنهم مجسِّمة! وبأنهم

---

(١) يُقالُ -في اللُّغة-: زَوَّرَ في نَفْسِهِ كَلامًا-؛ أي: هَيَّأَهُ وأَصلحَهُ.

(٢) أي: أنَّ قِيامَهم على حِفْظِ كِتابِ الله -تعالى- سَبَبُهُ: محافظتُهم على سُنَّتِهِ الشَّريفةِ ﷺ.

يُبْغِضون أولياءَ الله رب العالمين(١)!

وحاشا لأنصار السنة أن يكونوا وهابيِّين -بالمعنى المفهوم في أذهان الناس-(٢)!

فأولى أن يُقال عن أنصار السنة: إنهم مسلمون:

فهُم لا يُقلِّدون أحدًا في دينهم غيرَ رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام-؛ لا محمد بن عبد الوهَّاب! -على جلاله، وعلى سبقه في الدِّين- ولا ابن تيميَّة! ولا غيرِ هؤلاء العلماء الأجلَّاء نُقلِّدهم في ديننا(٣)-!

إنما نقلِّد(٤) رسولَ الله -عليه الصَّلاة والسَّلام-.

---

(١) ما أكثرَ الإشاعاتِ الَّتِي يَدَّعِيها أعداءُ الحقِّ على أهلِ الحقِّ!
وهي -في كُلِّ زَمان- تتغيَّرُ بتغيُّرِ ظُروف الشُّبُهات! وتلوُّنِ الأهواء!!

(٢) على معنى تنزيل تِلكُمُ الإشاعات الباطلة، والدَّعايات المُغرِضَة عليهم!!

(٣) وإنْ كُنَّا رأينا -اليومَ- وللأسَفِ الشَّديد- بعضَ (!) المشايخ السَّلَفِيِّين قد رَضُوا أنْ يُقَلَّدوا! وأن يُتَعَصَّبَ لهم!!
ولكنْ؛ تحت عناوين جديدة! وأسماءٍ بَرَّاقة!!

(٤) الأحسن لو قال: (نَتَّبع)!

ولسنا مُجسِّمةً[١] -كما يقول بعضُ الناس!-؛ إنما نصفُ الله بما وصف به نفسَه، ونُسمِّيه بما سمَّى به نفسَه.

ولسنا نُبْغِضُ أولياءَ الله[٢]؛ وكيف: واللهُ -تعالى- يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]!؟

كلُّ الخلاف بيننا وبين هؤلاء الذين يتَّهموننا بذلك: أنهم يُسَمُّون الأصنامَ: أولياءَ لله!

---

(١) وهي شُبهةٌ بِدعيَّةٌ قديمةٌ مُتجدِّدةٌ!
وهي مِن الباطلِ في مكانٍ كبيرٍ!!
وما أجملَ ما قالَهُ الإمامُ نُعَيم بن حمّاد -شيخ الإمام البخاري- رحمهُما اللهُ-:
«مَن شَبَّهَ اللهَ بخَلْقِهِ؛ فقد كَفَرَ، ومَنْ أَنْكَرَ ما وَصَفَ به نَفْسَهُ؛ فقد كَفَرَ.
وليس فيما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ ولا رَسُولُهُ تَشْبِيهٌ».
وقد أَوْرَدَهُ الإمامُ الذَّهبيُّ في «السِّيَر» (١٠/ ٦١٠)، ثم قال:
«هذا الكلامُ حَقٌّ.
نَعُوذُ بالله مِن التَّشبيه، ومِن إنكار أحاديث الصِّفات؛ فما يُنكِرُ الثَّابتَ مِنها مَن فَقُهَ...».
... إلىٰ آخِرِ ما قالَ -رَحْمَةُ الله عليه-، وهو كلامٌ قويٌّ.
(٢) بل لا يجوزُ ذلك؛ فالولايةُ حَقٌّ لِـمَن كان مِن أهلِ الحقِّ.
ولكنَّنا نُبْغِضُ مُدَّعِي الولاية! المُتأكِّلين بها!! وبأثوابِها!

ونحن نقولُ للناس قولَةَ الحقِّ الصريحة:

إن هذه الأصنامَ[١] أصنامٌ تُعبَد مِن دون الله.

فنُسمِّي الأشياءَ بأسمائها.

ولهذا نكافحُ، ولهذا نجاهدُ -مهما كان في طريقنا من عَقَبات-.

فنحن نؤمن أن الذين يدافعون عن الله: سيُدافع الله عنهم[٢]، وكما دافع الله عن الضيف الكريم[٣]: سيُدافع الله عن كل مؤمن.

والآنَ: أُقَدِّمُ لكم الأخ الجليل.

وأشكرُهُ[٤] شكرًا جزيلاً -بالنيابة عنكم -جميعًا-.

---

(١) وهي المُتَمَثِّلَةُ بالأضرحةِ والمَقاماتِ -ونحوِ ذلك-!

(٢) كما وَعَدَ اللهُ -تعالى- ووَعْدُهُ الحقُّ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

(٣) يقصد: الشَّيخَ الألبانيَّ -رَحِمَهُ اللهُ- كما سيأتي مِن حِكايتِهِ عن نَفْسِهِ-.

(٤) **(فائدة):**

رَوَى أبو داود في «السُّنَن» (٤٨١١) -وغيرُه- عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«لا يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشكُرُ النّاسَ»** [«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤١٦)]. =

وأشكرُ الأخَ الضيفَ الكبيرَ.

وأسأل الله لي وله ولكم التَّوفيق.

والسَّلام عليكم ورحمة الله.



= قال الإمامُ الخطّابي في «معالِم السُّنَن» (٤/ ١١٣):

«هذا الكلامُ يُتأوَّلُ على وَجهَين:

أحدُهما: أنَّ مَن كان طَبْعُهُ وعادتُهُ كُفرانَ نِعمةِ النّاسِ، وتَرْكَ الشُّكرِ لمعروفِهم: كان مِن عادتِه كُفرانُ نِعمةِ الله، وتَركُ الشُّكرِ له -سُبحانه-.

والوجهُ الآخَر: أنَّ اللهَ -سُبحانَه- لا يَقْبَلُ شُكرَ العبدِ على إحسانِه إليه إذا كان العبدُ لا يَشكُرُ إحسانَ النّاسِ، ويَكفُرُ معروفَهم -لاتِّصالِ أحدِ الأمرَيْنِ بالآخَرِ-».

نصّ محاضرة الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني

-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-

الواقع -أيها الإخوان- أن الأمرَ كما ذكرَ الأستاذُ الكريم: أنني حضرتُ -هنا- لكي أستمعَ كلمةً أستفيدُها من إخوتي في المذهب(١) السَّلفي النقيّ الطاهر.

ولم أُزوِّر في نفسي كلامًا أُقدِّمُه إلى إخواني.

أمَا وقد أُحْرِجْتُ؛ فلْننظر ماذا يُلهمُنا الله -عزَّ وجلَّ- به من الكلام!

---

(١) يُريد: المنهج.

فالسَّلَفِيَّةُ -كما هُو معلومٌ- مَنهجٌ؛ لا مَذهبٌ.

وإنْ كان المُؤدَّى -عندَ مَن يَفهمُ الحقائقَ ويَدْرِيها- واحدًا.

وخيرُ ما أُقدِّم به -ما قد أتقدَّمُ به من الكلام بين أيديكُم- هو أن أفتتحَهُ بخُطبة الحاجةِ[١]؛ التي كان الرسول -صلى اللهُ عليهِ وآلِه وسلَّم- يُعلِّمها أصحابَه.

فهذه الخُطبةُ الجَليلةُ التي -مع الأسف الشَّديد- يجهلُها أكثرُ النَّاس -ولا أعني بهم العامَّةَ -فحسبُ-؛ بل الخاصَّة-: كان رسولُ الله ﷺ يعلِّمها أصحابَه؛ ليتقدَّموا بها بين يدَي كلِّ خُطبةٍ، وكُلِّ كلام دينيٍّ[٢] يتقدَّمون به بين إخوانِهم.

فأقولُ -اتِّباعًا[٣] لسُنَّة الرسول -عليهِ الصلاةُ والسلام- بين يدَي هذه الكلمة-:

---

(١) ونصُّها هو الآتي -بَعْدُ- كاملًا-.

ولشيخِنا -رَحِمَهُ اللهُ- رسالةٌ مُفرَدةٌ في تخريجِها، والكلام العلميِّ عليها.

(٢) ومِن ذلك: التَّقدُّم للخِطبة في النِّكاح.

ولذلك؛ فإنّها تُسمَّى -أيضًا-: (خُطبة النِّكاح).

(٣) رَحِمَ اللهُ شيخَنا...

ما أشدَّ اتِّباعَهُ للسُّنَّةِ!

وما أعظمَ عَمَلَهُ بها، ودَعْوَتَهُ إليها!

«إن الحمدَ لله؛ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شرورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ؛ فلا مُضِلَّ له، ومَن يضلِلْ؛ فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ -وحده لا شَريك له-.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]».

ثم أُتْبِعُ هذه الخُطبةَ المُباركةَ بالجملة الطيِّبة التي كان رسولُ الله -صلَّى اللهُ-تعالى-عليهِ وآله وسلَّم- كثيرًا ما يقدِّمها بين يَدَي خُطَبِه[1] -وبخاصَّةٍ يومَ الجمعة-.

فكان -عليه الصَّلاة والسَّلام- يقولُ -بعد الحمدَلة-[2]:

«أما بعد:

فإن خيرَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهَدْي هديُ محمد -صلَّى اللهُ-تعالى-عليهِ وآله وسلَّم-، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار».

---

(١) كما في روايةٍ عندَ الإمامِ أحمد في «مُسندِه» (٣/ ٣٧١) -وغيره-.

والظَّاهرُ -مِن الرِّواية- أنها جُزءٌ مِن (خُطبة الحاجة)؛ وليست شيئًا مُنفصِلًا عنها! أو مُغايِرًا لها!!

وفي رسالةٍ «خُطبة الحاجة» (ص٢٨) -لشيخِنا-: مَزيدُ تَفصيلٍ.

(٢) قال البَعْلِيُّ في «المُطلِع على ألفاظِ المُقْنِع» (ص٦٨):

«(الحَمْدَلَة): حِكايةُ قول: الحمدُ لله».

هذه الكلمةُ أعتقدُ أنها هي الفصلُ الحاسمُ بين إخوانِنا في سائر العالَمِ الإسلامي -أنصار السُّنة، أو السَّلفيين، أو المحمَّديين[١]-، وبين الآخَرين ممّن ينتمون إلى الإسلام قولًا أو فِعلًا -مع ما في ذلك من الخطأ، والبُعْد عن التحقيق العَمَلي[٢] للقَول الصادق-.

لأن الرسولَ -عليه الصَّلاة والسَّلام- يقولُ -في هذه الكلمة-: «**كلّ محدَثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة**».

ولقد كان رسولُ الله ﷺ على علمٍ -طبعًا مِن الله[٣]-عزَّ وجلَّ- لأنّنا كلّنا نعلمُ أن الرسول -عليه السَّلام- مِن حيثُ علمُ الغيبِ- هو كسائر البشر: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [الأعراف:١٨٨] -إلى آخِر الآيات الواردة في نفي العلمِ[٤] عن رسول الله -عليه السَّلام-علمِ الغيب-.

---

(١) وهم مَن يَنْبزُهم البعضُ (!) بأنَّهم: وهَّابيُّون!!

(٢) ثم يأتي مَن يتَّهم شيخَنا -بالباطِلِ- أنَّهُ: مُرجِئ! أو: وافَقَ المُرجِئة!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ..﴾..

(٣) ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ - صلواتُ رَبِّي وسلامُه عليه-.

(٤) مِن مِثْلِ قولِه -تعالى-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

ولكننا نعلم -أيضًا- في الوقتِ نفسِه- أن الله -عزَّ وجلَّ- كان يُطْلِعُ نبيَّه -عليه الصَّلاة والسَّلام- على بعضِ المُغيَّبات التي تتحقَّق مصلحةُ المسلمين في إعلام رسول الله ﷺ بها إيَّاهم[1].

ولذا نقولُ:

فكأنَّ الرسولَ -عليه السلام- كان يعلمُ ما سيقعُ فيه المسلمون من الإحداث في الدِّين[2]، والابتداعِ فيه -سواءٌ كان هذا

---

(١) وقد جمَعَها غيرُ واحدٍ مِن العُلماء في كُتُبٍ مُفردَةٍ عُرِفَت بِـ(دلائل النُّبُوَّة).
لَعَلَّ أشهرَها كتابُ «دلائل النُّبوّة» -للإمامِ البيهقيِّ-، وكِتاب «دلائل النُّبُوَّة» -للإمام أبي نُعَيم-.

(٢) وقد جاءَ هذا المعنَى -صريحًا- في حديث العِرباض بنِ ساريةَ -رضيَ اللهُ عنهُ-، قال: صلّى بِنَا رسولُ الله ﷺ الفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ علينا، فوَعَظَنَا موعِظَةً بَليغةً، ذَرَفَت لها الأعيُن، ووَجِلَت مِنها القُلوبُ، قُلنا: يا رسولَ الله! كأنَّ هذه مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فأوْصِنَا.

قال: «**أُوصِيكُم بتقوَى الله، والسَّمعِ والطَّاعةِ -وإنْ كان عَبدًا حبشيًّا-؛ فإنَّه مَن يَعِشْ مِنكُم يَرَى بَعْدِي اختلافًا كثيرًا؛ فعليكُم بسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين المَهدِيِّين؛ عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحدَثَاتِ الأُمور؛ فإنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بَدعةٌ، وإنَّ كُلَّ بَدعةٍ ضَلالَةٌ**».

وهو حديثٌ صحيحٌ؛ خرَّجَهُ شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ- في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥).

الابتداعُ في العقائد، أو في العبادات-.

وذلك كان تحقيقًا لما وصفه الله -تبارك وتعالى- به مِن أنَّه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فكان -صلواتُ الله وسلامُه عليه- يُنبِّههم في كلِّ مناسبة -وبخاصّةِ المناسبةَ التي يجتمعُ فيها أكبرُ عدد من المسلمين- وهي مناسبةُ خُطبةِ الجمعة-؛ فكان يخطب -عليه السلام- بهذه الجملة الكريمة:

«أمّا بعدُ:

فإن خير الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهديِ هدي محمد -صلى الله- تبارك وتعالى-عليه وآله وسلم-، وشر الأمور محدَثاتُها، وكل محدَثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار».

ومع هذا -وللأسف الشديد- نجدُ المسلمين قد غَفَلُوا - أو جَهِلُوا -هذه الحقيقةَ؛ بل صادَمُوها وعَكَسُوها!!

فالرسولُ ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة**»:

وهذه (كُلُّ) -كما هو معلومٌ في (علم الأصول)[١]- مِن أعمِّ صيغ العموم والشمول: «**كل بدعة ضلالة**»؛ مع ذلك هم يأتون إلى هذه الكليَّة؛ فيُعطِّلونها بقولِهِم: (ليس كل بدعةٍ ضلالة)[٢]!!

فهذه مُشاقَّةٌ -في الحقيقةِ- لله، والرسول[٣] ﷺ.

فنحن يجبُ أن نظلَّ نتمسَّكُ بهذا المبدأ؛ ففيه تحقيقُ أصلٍ ثانٍ هو المُتمِّمُ للأصلِ الأوَّل.

والأصلُ الأوَّل والثَّاني يُساوي -في مفهومنا-: الإسلامَ.

---

(١) انظُر -مَثَلًا-: «قواطع الأدلَّة» (١/ ١٥٤) -للإمامِ السَّمعاني- رَحِمَهُ اللَّهُ-.
وفي «المُسوَّدَة» (ص١٠١) -لآلِ تيميَّةَ- عندَما ذكَرَ حَرْفَ (كُلّ) -قال:
«لا يَختلِفُ فيه أحَدٌ أثبتَ العُمومَ».

(٢) ويُؤكِّدُ هذا العُمومَ: ما رواهُ اللَّالَكائيُّ في «شَرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (١٢٦) عن ابنِ عُمَرَ -رضي اللهُ عنه-، قال:
«كُلُّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وإنْ رآها النَّاسُ حَسَنَةً».
وصحَّحَهُ شيخُنا في «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» (٦/ ٥٢٧).

(٣) يقولُ اللهُ -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

هذان الأصلان مِمَّا يشرحُهما ويُقرِّرُهما شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ-، يقول:

«إن الإسلامَ يقومُ على عبادة الله -تبارك وتعالى- وحدَهُ-، وبالطبع -كما تعلمون-: المقصودُ بالعبادة: هو توحيدُ الله -عزَّ وجلَّ- في عبادتِه، وفي ألوهيَّته.

وليس المقصودُ -فقط- اعتقادَ أن الله هو الخالقُ[1] -وحدَه لا شريك له- في ذاته-؛ فإن هذا -كما تعلمون- شيءٌ يشترك فيه المشركون؛ المشركون كانوا يعتقدون أن الخالقَ واحدٌ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١]!

ولكنَّهم ما كَفَرُوا، ولا أشركوا إلا لأنَّهم جحدوا[2] عبوديةَ

(١) كما تَنْتَهِجُهُ -وللأسفِ- كثيرٌ مِن الجماعاتِ الحزبيَّةِ الإسلاميَّة؛ كجماعةِ الدَّعوة والتَّبليغ -وغيرها-!

(٢) ومِن البداهةِ بمكانٍ: أنْ نُنبِّهَ -وقد نَبَّهْنَا مِرارًا وتكْرارًا-: أنَّ الكُفر أنواعٌ؛ مِنها: الجُحود، ومِنها: النِّفاق، ومِنها: التَّكذيب، ومِنها: الشَّكّ، ومِنها:=

الله -وحدَه-، وعبدوا غيرَ الله! مع اعترافهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المُميت-!

كما يزعُمُ بعضُ مَن ينتمي إلى الإسلام! يقولون: هؤلاء لا يعتقدون أنّ مَعبودِيهم يَخلقون ويَرزقون و..إلخ!

فيجهلون هذه الحقيقةَ!

هم إنْ قالوا -عن بعض الجُهّال المسلمين-: إنهم لا يعتقدون أن هذا الميتَ -الذي يستغيثون به- يضرُّ وينفع! فما يصفونهم بأكثرَ مما يصف المسلمُ العالمُ أيَّ مُشرك؛ فالمُشركُ كان يعتقد أن الضارَّ والنافع[1] والرازق والمحييَ المميت هو الله -عزَّ وجلَّ-!

=الاستِحلال، ومِنها: الإنكار... إلخ.

وانظُر -ما سيأتي (ص٤١-٤٢)، وكذا كِتابَيَّ: «صَيحة نَذير بخطر التَّكفير» (ص٦٤ - ط. سنة ١٤١٧هـ)، و«التَّعريف والتَّنبِئة بتأصيلات الإمام الألباني في الرَّدِّ على المُرجِئة» (ص٤٦ - ط. سنة ١٤٢١هـ).

(١) هذا مِن بابِ الإخبارِ عن الله -تعالى-.

إذ ليس (الضَّارّ)، و(النّافع) مِن أسمائِه -تعالى-؛ فتنبَّه.

إذن؛ لِـماذا كَفَرَ هؤلاء المشركون؟!

لجحدهم لتوحيد العبودية؛ الّذِي هو: توحيدُ الألوهية.

القصدُ: أن ابن تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ- يُقرِّر[1] أن:

الأصل الأول -الذي يقومُ عليه الإسلامُ-؛ هـو: توحيـد الله في عبادتِه.

والأصل الثاني: هو عبادة الله -تبارك وتعالى- بما شرعَ -لا بما ابتدع المُنْتَمُونَ للإسلام-.

فهذان أصلان عظيمان -جدًّا-:

- مَن فهمهما، ثم حقَّقهما عمليًّا؛ فهو المسلمُ.

- ومَن أخلَّ بأحدِهما؛ فقد أخلَّ بأصلٍ من الإسـلام؛ باعتبار أنه لا يكون مسلمًا -حينئذٍ-.

وأنتم تعلمون أن كل ذَنْـبٍ[2] لأنـصار الـسنة -في جميـع بـلاد

---

(١) كما في كتابِه «العُبوديَّة» (ص١٤٥ - بتحقيقي).

(٢) أي: في وجهةِ نَظَرِ أعدائهِم المُفترِين عليهم!!

الإسلامِ -عند المُخالِفين لهم-؛ هو: تَمَسُّكُهُمْ بهذين الأصلَين، هو دعوتُهم -بصراحةٍ وبقوَّة- الناسَ جميعًا - المُنْتَمِين إلى الإسلام، والكافرين-: إلى أن يوحِّدوا الله -تبارك وتعالى- في ألوهيَّته، وفي عبادته.

ونحن لسنا بحاجة -كما أنَّ قدوتَنا محمدًا ﷺ لم يكن بحاجةٍ- إلى أن يدعوَ الناسَ إلى توحيد الله -عزَّ وجلَّ- في ذاتِه[1]؛ فقد خَلَقَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- البشريَّةَ على الفِطرة، وخَلَقَهُم على أنهم لا يُمْكِنُهم أن يعقلوا وجودَ ذاتَين تتصرَّفان في الكون[2]!

---

(١) وهو المُسمّى: (توحيد الرُّبوبيَّة).

(٢) قال شيخُ الإسلام في «اقتضاء الصِّراط المُستقيم» (٢/ ٣٥٨)-ما نصُّه-:

«... إنَّ المُشركِين لم يَكُن أحدٌ منهُم يقول: إنَّ العالَم له خالِقان! ولا إنَّ الله له شريكٌ يُساويه في صفاته!

هذا لم يَقُلْهُ أحدٌ مِن المُشركِين؛ بل كانُوا يُقِرُّونَ بأنَّ خالِق السّماوات والأرض واحدٌ؛ كما أخبرَ اللهُ عنهُم بقولِه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان:٢٥].

وكانُوا يَقولون في تَلبِيَتِهم: «لبَّيك لا شريكَ لك، إلّا شَريكًا هو لك تَملِكُه وما مَلَكَ»!

=

لذلك؛ كان مِن قَبيل - تحصيلِ الحاصلِ[١] -كما يقول بعض الفقهاء-: أن يدعوَ رسولُ الله ﷺ الناسَ -وبخاصّةٍ مَنْ وُلد بينهم مِن المشركين-: إلى أن يوحِّدوا الله في ذاته.

هذا أمرٌ تحصيلُ حاصلٍ؛ لأن المشركين كانوا -كما ذكرنا آنفًا- يعتقدون بأن الله -باعتبارِه ذاتًا خالقةً- هو واحدٌ- لا شريكَ له-.

وأنتم لستم بحاجةٍ إلى مِثلي[٢] أن يُفيضَ في مثل هذه الأمور الاعتقاديَّة؛ لأنكم:

أوَّلاً -والحمدُ لله-: أصبحتم -مِن عالِمكم إلى طالبِكم للعلم[٢]-

---

= وكانُوا يتّخِذُونَ آلِهتَهم وسائطَ تُقرِّبُهم إلى الله زُلْفَى، وتَشفع لهم؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزُّمَر:٣]...».

قُلتُ:

وانظُر ما سيأتي (ص٣٥).

(١) أي: مِن المُسَلَّمات الّتي لا تحتاجُ تَنبيهًا!

وانظُر «قواطع الأدلّة في عِلم الأُصول» (١/ ١٢٧) -للسَّمْعاني-، و«بيان المختصر -شرح (مختصَر ابن الحاجب)-» (٣/ ٥٧) -لشمس الدِّين الأصبهاني-.

(٢) فَلْنَتَأمَّلْ هذا التَّواضُعَ الكَبيرَ مِن شيخِنا -أوَّلًا-، ثُمَّ لْنَتَأمَّلْ هذا=

دُعاةً في مثل هذه المواضيع -والحمدُ لله-، ولكنْ؛ هو -قبلَ كل شيء- تبادُلُ الآراء والأفكار.

وثانيًا: قد يكونُ هناك -في بعض الناس- ممَّن يسمعون كلامَنا -الآن- مَن هم بحاجةٍ إلى ذكرى، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ -إن شاء الله-.

فالرسولُ ﷺ لم يكنْ ليدعوَ الناسَ[1] إلى أن يوحِّدوا اللهَ في ذاته[2]؛ لأنهم -في الواقع- كانوا يوحِّدون الله -تبارك وتعالى- في ذاته؛ إنَّما دعاهم إلى توحيد الله -عزَّ وجلَّ- في ألوهيّته؛ أي: أنه ليس هناك ذاتٌ أخرى تستحقُّ الخضوعَ والخشوعَ، وإلى توحيد الله في عبادتِه؛ بحيث لا يُعبَد سواه.

=الاعترافَ بالفضلِ لِـمَن أكثرُهم -يومَئذٍ- أقرانُه، وفي مِثل عُمره.

(١) أي: لَم يَكُن أسُّ اهتمامِهِ -وجُلُّهُ- في دَعوتِه ﷺ إلى ذلك.

وإلّا؛ ففي كثيرٍ مِن نُصوص القُرآنِ والسُّنَّةِ: الإشارةُ إلى توحيد الرُّبوبيَّة، وتثبيتُ أركانِه في نُفوس أهل الإيمان.

(٢) أي: أنَّهُ الخالقُ -سُبحانَه-.

وفي الحقيقة: كلٌّ مِن التوحيدَين -اللذَين يُسميَّان: (توحيد الألوهية)، و(توحيد الربوبيَّة)- ينفُذان إلى معنى واحد[١]؛ لأن الألوهيَّة- وهي الخضوعُ لله -عزَّ وجلَّ- ليست شيئًا قلبيًّا -فقط[٢]- وإنَّما هي شيءٌ عمليٌّ يُظْهِرُ ما كَمَنَ[٣] في القلب: مِن

---

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مُؤكِّدًا هذا المعنى -في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٨٤):

«... يُحقِّقُ قولُه -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: تَوحيدَ الإلهيَّة، وتَوحيدَ الرُّبوبيَّة؛ وإنْ كانت الإلهيَّةُ تتضمَّن الرُّبوبيَّةَ، والرُّبوبيَّةُ تَستلزم الإلهيَّةَ؛ فإنَّ أحدَهُما إذا تضمَّن الآخَرَ -عند الانفرادِ- لَم يمنعْ أنْ يختصَّ معناهُ- عند الاقترانِ-؛ كما في قولِه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، وفي قولِه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فجمَعَ بين الاسمَين: اسمِ (الإله)، واسمِ (الرَّبِّ):

- فإنَّ (الإله) هو المَعبودُ الَّذي يَستحِقُّ أنْ يُعبَدَ.
- و(الرَّبّ) هو الَّذي يَرُبُّ عَبْدَهُ، فيُدَبِّرُهُ.

ولِهذا؛ كانت العِبادةُ مُتعلِّقةً باسمِه: (الله)، والسُّؤالُ مُتعلِّقًا باسمِه: (الرَّبّ)؛ فإنَّ العِبادَةَ هي الغايةُ الَّتي لها خَلَقَ الخَلْقَ [أو: خُلِقَ الخَلْقُ]، والرُّبُوبيَّةُ تتضمَّنُ خَلْقَ الخَلْقِ وإنشاءَهم، فهو مُتضمِّنٌ ابتِداءَ حالِهم..».

(٢) وفي هذا رَدٌّ على ضَلالاتِ المُرجِئَةِ -مِن جِهَةٍ-، ونَقْضٌ على المُتَّهِمين شيخَنا بالباطِلِ- أنَّهُ: (وافقَ المُرجِئَةَ) -مِن جهةٍ أُخرى-!!

(٣) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «مجموع الفتاوى»=

توحيدٍ، أو مِن شرك.

فهذه العباداتُ يجب أن تُصْرَف، ويُخَصَّ بها الله -عز وجل-.

فدُعاةُ السُّنة -في كُلِّ البلاد -كما قُلنا- هـذا هـو ذَنْبُهم الأوَّل -عند الآخرين!-: أنهم هـم -قبـلَ كـل شيء- في أنفُسِهم-: لا يَسمحون -مُطْلَقًا- أن يَعبدوا غيرَ الله؛ إنما يعبدون الله -وحـدَه لا شريك له-.

وهذا هو الذي كان المُشركُون يُنكرونه ويَجحدونه.

وهذا ما هو صريحٌ في الكتاب والسُّنة: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

=(١٨/ ١٦٤):

«واللهُ -تعالى- إنَّما خَلَقَ الإنسانَ لعبادتِه، وبَدَنُهُ تبَعٌ لِقَلْبِهِ؛ كما قالَ النبـيُّ ﷺ في الحديثِ الصَّحيحِ-: «**أَلا إنَّ في الجَسَدِ مُضغةً؛ إذا صَلَحَت: صَلَحَ لها سائرُ الجَسَدِ، وإذا فَسَدَت: فَسَدَ لها سائرُ الجَسَدِ؛ ألا وهي: القَلْبُ**» [مُتَفَقٌ عليه].

وصلاحُ القَلْبِ: في أنْ يحصُلَ له -وبه- المقصودُ الّذي خُلِقَ له؛ مِن: معرفةِ الله، ومحبَّتِه، وتَعظيمِه.

وفسادُهُ في ضِدِّ ذلك.

فلا صَلاحَ للقُلوبِ بِدُونِ ذلك -قَطُّ-».

ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[الصافات:٣٥].

وكان أحدُهم إذا طاف بالبيت يقولُ: (لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمدَ والمُلك لك، لا شريك لك إلا شريكٌ هو لك، تملكُه وما ملك)[1]!

فما هذا الشريكُ الذي (يملكُه وما مَلَك)؟!

هذه عقيدةُ المشرِكين؛ حيث يعتقدون أنَّ المالك الحقيقيَّ هو الله -تبارك وتعالى-!

وهذا صريحُ الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزُّمَر:٣].

فهذه الآيةُ نصٌّ صريحٌ بأن المشركين كانت غايتُهم هي الله -عزَّ وجلَّ-، وأنَّ الذين يعبدُونهم مِن دون الله -عزَّ وجلَّ- كانوا يَتَّخذونهم وسائطَ؛ لا غاياتٍ!

---

(١) رواهُ مُسلم (١١٨٥) عن ابن عبّاس -رضي الله عنه-.

وانظُر ما تقدَّم -قريبًا- (ص٣١).

فالغايةُ -حتى عند المشركين!- هو أن يَصِلُوا إلى مَرْضاةِ[1] الله -عزَّ وجلَّ-، ولكنهم ضَلُّوا الطريقَ؛ حينما اتخذُوا هذه الوسائطَ تُوصِلُهم، وَتُقَرِّبُهُمْ إلى الله!!

ولا يزال كثيرٌ من الناس -اليومَ- مع الأسف الشديد- لا يَفقهون معنى (العبادة)! ولا يَدْرُون كيف أَشرك المشركون!

هذه الآيةُ -بالذات- لا يَفقهون لها معنى-: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾-!

ما معنى هذه (العبادةِ) -الباطِلة- التي أثبتوها لأنفسِهم؛ لغاية أنها توصِلُهم إلى مرضاة الله -عزَّ وجلَّ-؟!

أكثرُ المسلمين لا يعرفونها!

مع أنه مِن الثابت -في الكتاب والسنة -كما تعلمون- أنَّ هذه العبادةَ -الباطِلَة- هي دعوةُ غير الله -عز وجل- في الشدائد.

---

(١) يقولُ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه «الصّارِم المسلول على شاتِم الرَّسول ﷺ» (ص١٧٨): «... لا يَقصدُ الكُفرَ أحدٌ إلّا ما شاء الله».

هذه العبادةُ لهؤلاءِ: مُخِلَّةٌ بعبادة الله -عزَّ وجلَّ-:

فالعبادةُ التي عبَدها المُشركون لعُظمائهم وأوليائهم هي هذه الأشياءُ: خَصُّوهم بالاستغاثة لغير الله! وخَصُّوهم بالنذر لهم! وخَصُّوهم بالذبح عندهم[1]!

وهكذا ... -إلى ما هو معلومٌ لديكم-.

فهذا هو:

الأصلُ الأولُ الذي يدعو إليه أنصارُ السنة: أن يُعبَدَ اللهُ

---

(١) قال -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وقد قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ- مُفَسِّرًا -كما في كِتابه «قاعدة عظيمة في الفَرق بين عِباداتِ أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشِّرك والنِّفاق» (ص٦٨)-:

«فالمُسلِم: صَلاتُهُ ونُسُكه لله، والمُشرِكُ: يُصَلِّي لِغَيْرِ الله، ويَنْسُكُ لغير الله، ويَدْعُو المَخلوقَ، ويَستغيثُ به، ويتضرَّعُ إليه -كما يفعلُ بالخالِق-، ويحجّ إلى قَبرِه -كما يحج إلى بيت الخالق-؛ ويُسمُّون ذلك: نُسُكًا..».

-وَحدَه-، وأن يُكفر بما سوى ذلك مِن الوسائط.

و:

الأصلُ الثاني -وهو مُهِمٌّ-أيضًا- جدًّا-وكثيرٌ من الناس لا يعرفونه!- هو: أن لا يُعبَد الله إلا بما شَرَعَ الله.

وهذه جملةٌ قصيرةٌ[1]؛لكنها تحوي شَطْرَ الإسلام-كما علمتم-.

ويُعجِبُني -بهذه المناسبة- كلمةٌ للشيخ المقريزيِّ في رسالته «تجريد التَّوحيد المفيد»[2] -ولعلَّه اقتبسها مِن كتب شيخ الإسلام

---

(١) ما أجملَ ما قيلَ -قديمًا-: (كلامُ السَّلَفِ قليلٌ؛ كَثيرُ البَرَكَة، وكلامُ الخَلَفِ كثيرٌ؛ قليلُ البَرَكَة)!

(٢) (ص٤٤).

وكنتُ قد شَرحتُ هذا الكتاب في بِضعة وعشرين مَجلِسًا- قبل نَحوِ رُبع قَرْنٍ مِن الزَّمان -بناءً على وصيَّةٍ مِن شيخِنا -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

وكذلك -أيضًا- حقَّقْتُهُ، ونَشَرْتُه -وَقْتَذاك-.

و(المقريزيُّ) هو: أحمد بن عليِّ بنِ عبد القادر، تقيُّ الدِّين، تُوُفِّي سنة (٨٤٥هـ) -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

ترجمتُه في «المنهل الصافي» (١/ ٤١٥) -لابن تَغْرِي بَرْدِي-.

ابن تيميَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، أو تلميذه ابن القيم-.

يقول -حينما يتكلَّمُ عن (توحيد الألوهية)، و(توحيد الربوبية)، و(توحيد الصفات)، ثم يَقسمُ الناسَ إلى أقسامٍ -بالنسبة لموقفهم مِن (توحيد العبادة)- يقول في أثناء ذلك-:

«إذ ليس الشأن أن يُعبَد الله -وحده- فقط-؛ ولكنَّ الشأن أن يُعبَد الله بما شرعَ الله».

هذه جملةٌ عظيمة -جدًّا-.

يعني: نحن ندعو إلى عبادة الله -وحدَه-؛ لكنّ هذا لا يكفي؛ لا يكفي للتوحيد الصحيح إلا أن نعبدَ الله بما شرع الله.

ولذلك؛ تجدون الله -عزَّ وجلَّ- يصفُ المشركين في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[التوبة:٣١].

وتَعلمون القصةَ التي حَدَثت عند نزول هذه الآية[١]، وهي:

---

(١) وهي مُخرَّجَةٌ في «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» رقم (٣٢٩٣)=

أن الرسـول ﷺ لما نزلـت هـذه الآيـةُ، وتلاهـا عـلى مـسامع الصحابة- كان فيهم عَديٌّ بن حاتم الطائي- وقد كـان نـصرانيًّا- وهو من النصارى القليلين الذين أسـلموا، وكـانوا متعلِّمـين -أو عُلماء-؛ لأنكم تعلمون أن العـرب كـانوا أُمِّيِّـين[1]، وكـان القليـلُ منهم مَن يُحسِن القراءة والكتابة-.

وهذا -عديّ بن حاتم- مِن هؤلاء القليل الذي تعلّـم القـراءة والكتابة، ثم وَجد المشركين على ضلالٍ مبينٍ، فَـرأى أنّ النـصرانية خيرٌ من الشرك، فتنصَّر!

ثمّ لما جـاء الله بالإسـلام -عـلى يـدَي محمـد -عليـه الـصَّلاة والسَّلام-: آمن بمحمد ﷺ رسولًا نبيًّا.

=-لشيخِنا الإمام -رحِمَهُ اللهُ المَلِك العلّام-.

(١) ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ..﴾[الجمعة:٢].

وبعضُ النّاس -اليوم!- فسَّر (الأُمِّيَّة) على غيرِ هذا المعنى!! فغَلِطَ غَلَطًا شديدًا!

وكان -حين نزلت الآية السابقةُ- في مجلس الرسول -عليه السلام-، فلمّا سمعها: استغرب ما فيها -طبعًا لا يَستنكرها؛ لأنه مسلمٌ[١]-، فقال: يا رسول الله! كيف اتَّخذناهم أربابًا مِن دون الله؟! قال:

«ألستُم كنتم إذا حرَّموا لكم حلالًا: حرَّمتموه، وإذا حلَّلوا لكم حرامًا: حلَّلتموه؟!».

قال: بلى.

قال: **«فذاك اتخاذُكم إياهم أربابًا مِن دون الله»**.

هذا تأييدُ الأصل الثاني؛ وهو: أن لا نعبدَ الله إلا بما شرع الله.

فأيُّ أَحَدٍ يُحَرِّم -مِن عنده -بدون نَصٍّ مِن كتاب الله ورسوله-، أو يُحَلِّل- بدون نَصٍّ مِن كتاب الله ورسوله -، أو يُحسِّن: فقد جعَلَ نَفْسَهُ كالرَّبِّ[٢] مِن دُونِ الله -سُبحانه-؛ كما

(١) فالاستنكارُ المَبنيُّ على (الإنكار): كُفْرٌ -بلا شكٍّ-.

وانظُر ما تقدَّم (ص٢٧-٢٨).

(٢) وهذا -عند التّأمُّل- مِن حُجَجِ أهل السُّنَّة في الرَّدِّ على التَّكفيريِّين=

يقول الإمام الشافعي -رضي الله عنه- في أول رسالته المعروفة باسم «الرسالة»[١] - يقول: «مَن استحسن فقد شَرَعَ».

هذا المعنى عظيمٌ، وهو مأخوذٌ مِن[٢] الآية السابقة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].

=المُعاصِرين -مِن أَفراخِ الخَوارجِ- الّذِين يُكَفِّرُونَ -بالمُطْلَق- كُلَّ (مَن) يَحكُم بغير (ما) أنزلَ اللهُ -دُونَ التَّفصيل العلميِّ السلفيِّ المعروف عن أئمَّتِنا وعُلمائِنا -رحِمَهُمُ الله-.

(١) (ص٥٠٧).

وانظُر كتاب «الأُمّ» (٧/ ٢٧٠) -له- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

(٢) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الاستقامة» (١/ ٥):

«قَرَّرْنا في القواعدِ -في «قاعدة السُّنَّة والبِدعة»-: أنَّ البدعة هي الدِّين الّذي لَم يأمُر الله به ورسولُه؛ فمَن دانَ دِينًا لَم يَأمُر الله ورسوله به؛ فهو مُبتدِعٌ -بذلك-.

وهذا معنى قوله -تعالى-: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]».

وانظُر رسالة «التمسُّك بالسُّنَن والتَّحذير مِن البِدَع» (ص٩٣ - «مجلة الجامعة الإسلامية/ عدد: ١٠٣-١٠٤) -للإمام الذهبيِّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

فهذا الأصلُ -الثاني- هو الذي يُتَمِّمُ الأصلَ الأولَ.

وبمجموعِهما: يتحقَّق إسلامُ المسلم.

ولذلك؛ نجدُ -مع الأسف الشديد- أن كثيرًا مِن المنتمين إلى الإسلام -اليومَ- بعيدون كلَّ البُعد عن الإسلام -في الأصل الأول، وفي الأصل الثاني-!

وليتَ الأمرَ وَقَفَ -في هذا الخلافِ- على أَصْلٍ مِن هذين الأصلَين! ولكنْ -مع الأسف الشديد- أن الخلافَ في الأصلَين -معًا-!

فهم يُسَمُّون -مثلًا- الاستغاثةَ بغير الله: توسلًا؛ أي: تقربًا إلى الله -عزَّ وجلَّ-!

ونحن -وإن كُنَّا مِن الوِجهة العلمية- نُفرِّق بين ما يسمَّى (الاستغاثة)، وهي: طلبُ الغوث من غير الله -عزَّ وجلَّ-، وبين (التوسُّل)- بالمعنى (العلمي) الذي وُجد فيه بعضُ الاختلاف[1]-،

(١) أشارَ إلى شيءٍ مِن هذا الخِلاف -وناقشَه- شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «مجموع الفتاوى» (١/ ١٠٢ - فما بعد)؛ فَلْيُنْظَر. =

وهو: إدخالُ واسطةٍ بينك وبين الله، ولكنَّك في الوقت -نفسه- تطلبُ من الله؛ لا تطلبُ من الوسيط.

نُفرِّق بين هذا وذاك.

ولكنَّنا نعتقدُ أن هذه الوسيلةَ (العِلميَّةَ) -لا الوسيلةَ التي هم يفهمونها بمعنى الاستغاثة!- تؤدِّي إلى (الاستغاثة) -التي هي شركٌ صريحٌ-[1].

فخلاصةُ القول:

إن الناسَ -اليومَ- في جاهليَّة جهلاء[2]؛ في جهل يُبعِدُهم عن

= ولشيخِنا -رَحِمَهُ اللَّهُ- رسالةٌ مُفردَةٌ بعُنوان: «التوسُّل؛ أنواعُه وأحكامُه».

(١) وذلك مِن جِهَةِ كَوْنِهم قاسُوا الخالِقَ على المَخلوق؛ على اعتبارِ -كما هُو تَصوُّرُهم الفاسدُ!-: أنَّ المُلوك لا يَدخُلُ عليهم عامَّةُ النّاس إلّا مِن خلال الحُجّاب والوُسطاء!! فالرَّبُّ كذلك!!

تَعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا؛ وهو القائلُ -سُبحانه-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾[البقرة:١٨٦]».

(٢) على معنَى ما بوَّب الإمامُ البُخاريُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- (١/ ١٥)-: (باب: المعاصِي مِن أَمرِ الجاهليَّة، ولا يُكَفَّرُ صاحبُها إلّا بارتكابِ الشِّركِ).

الإسلام كُلَّ البُعدِ.

وتصويرُ هذا: أنَّهم يجهلون الأصلَ الأوَّل، والأصلَ الثاني.

ولو أن الأمرَ وقف -أيضًا- عند الجهل؛ لهان الخَطْبُ بعض الشيء!

ولكنهم يَقِفُون مَوقِفَ العِداء- في صفِّ المُحارِبين والمُعادِين لَمَن يدعو إلى عبادةِ الله -وحدَه-، ولمن يدعو إلى عبادةِ الله بما شرع الله!

وليت هذا العِدَاءَ يقفُ كما يقفُ كلُّ عدوٍّ تُجاهَ عدوِّه الآخَرِ!

ولكنهم يُعادُونَ دُعاةَ السُّنة، ودُعاةَ التوحيد، ودُعاةَ مُحاربة البِدعة؛ يُعادونهم أشدَّ[1] مِن مُعاداتهم للملاحدةِ والكُفّار -... إلى آخر ما هنالك مِن أحزاب وفِرق-.

فهذا مما يُجلِّي وضعَ المسلمين -اليومَ-، ويَحمِلُ دعاةَ السُّنة على أن يُجنِّدوا أنفسَهم ليكونوا صفًّا واحدًا، وعونًا، ويدًا واحدة[2]:

---

(١) وهذا أَمْرٌ مَحسوسٌ مَلموس -في كُلِّ عَصْرٍ ومِصْر-.

(٢) بَدَلًا مِن هذا التفرُّق الشَّديد -المَديد- الّذي نُعانيه ونُعايِنُهُ؛ والّذي=

لتوجيه هؤلاء الضالِّين إلى معرفةِ ما دعاهم إليه رسولُ الله ﷺ، الذي يتظاهرون -هُم- بتعظيمِه؛ بإقامة حفلاتٍ ما يرضاها رسولُ الله ﷺ -نفسُه-!

وهي -في الواقع- تدخلُ فيما يُنافي الأصلَ الثَّاني؛ أي: عبادة الله بما شرعَ الله؛ فهم يعبدون الله بغير ما شرع الله!

ونحن -والحمدُ لله- لا نزال ندعو، وسنظلُّ ندعو -إلى آخر نفَسٍ في حياتِنا -بإذن الله-تبارك وتعالى-.

وإن كنا نحن نغبِطُكم[1] أنكم تجدون الحريَّةَ المُطلقةَ في الدعوةِ إلى دعوة الحق؛ بينما نحنُ لا نجدُ مجالًا إلّا مع الاحتيالِ الشَّديدِ على ما يُسمُّونه بالقوانين[2]! وبالأوامر الإدارية-وما أشبهَ ذلك-!!

=أكثرُه -فوا أَسَفاه- مَبْنِيٌّ على سُوء الفَهم! أو سُوء الظَّنّ!! أو... سُوء القَصْد!!! -اجتماعًا! أو تفرُّقًا-!

(١) الغِبْطَةُ: تمنِّي النِّعمة مِن غير حُبِّ زَوالِها عن المَغبوط.

والحسدُ: هو نفسُ هذا التَّمنِّي، مع حُبِّ الزَّوال!

وانظُر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٠/ ١١١).

(٢) بسببِ ما كانُوا يُعايِشُونه -في سُورِيَةَ- في السِّتِّينيَّات مِن القَرن=

وأنا -شخصيًّا- نظرًا لأني أعلمُ الجوَّ الذي أَعيشُ فيه- لا أستطيعُ -حتى اليومَ- أن أتحدَّث بكلمةٍ قد تَصِلُ إلى خارج هذه الدار!

نَعَم؛ فإنِّي -في دمشق- لا أستطيع أن أفعلَ هَذَا! ولا أستطيع أن أتكلَّم بكلمةٍ في مسجد!

ليس خوفًا! ولكنْ؛ درءًا للمفسدة وللفتنة!

وتحقيقًا -فيما نظنُّ- لحديث السيدةِ عائشة -رضي الله عنها- التي تقولُ: أنَّ الرسول -عليه السَّلام- لما رآها تعزمُ على أن تدخل جوف الكعبة - لتصلِّي فيه-؛ قال لها: «**صَلِّي في الحِجْرِ؛ فإنه من الكعبة**»:

=الإفرنجي المُنصرِم -مِن تشديد، وتَضييق.

ولقد زادَ هذا التَّضييقُ -جدًّا جدًّا- بعدَ ذلك بعشر سنوات؛ لـمّا استولَى النُّصَيريُّون على الحُكم في سُورِيَة -بقيادةِ الهالِك (حافظ الأسد)-.

والأملُ بالمولَى -سُبحانه- أنْ تكونَ هذه الأيامُ آخِرَ أيَّامِهم؛ فإرهاصاتُ زوال حُكْمِهم النُّصَيريِّ -الملعونِ- برئاسةِ (الأسد) الابن!- باديةٌ مُتكاثِرَةٌ -إنْ شاءَ اللهُ-.

الحِجْر(١): تعلمونه، هو مكانٌ خارجَ بناء الكعبة.

قال لها: «**صَلِّي في الحِجر؛ فإنه من الكعبة، ولولا أن قومَك حديثو عهدٍ بالشِّرك؛ لهدمتُ الكعبة، ولبَنيتُها على أساس إبراهيم -عليه السَّلام-، ولجعلتُ لها بابَين: بابًا يدخلون منه، وبابًا يخرجون منه...**»(٢) -إلى آخِر الحديث-.

فنحنُ لا نستطيعُ -اليومَ- أن نتكلَّم بكلمةِ الحق - مع أنَّنا نتعاطى كُلَّ الوسائل التي تدخلُ في عمومِ قولِ الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾(٣)[النحل:١٢٥]-!

---

(١) نَبَّهَ سماحةُ أُستاذِنا الشيخ محمد بن صالح العُثَيمين -رَحِمَهُ اللهُ- في «مجموع فتاويه» (١٢/ ٣٩٨) إلى أنَّه لم يَرِدْ في نُصوصِ الشَّرعِ تَسْمِيَتُهُ بِـ: (حِجر إسماعيل)!

قلتُ:

وهو حكمٌ يحتاجُ إلى مَزيد تَمحيص ومناقشة!

(٢) رواهُ البخاريُّ (١٥٨٥)، ومُسلمٌ (١٣٣٣) عنها -رضي الله عنها-.

(٣) أوردَ الإمامُ ابنُ القيِّم هذه الآيَةَ الكريمةَ في كتابه «الصّواعق المُرسَلة» (٤/ ١٢٧٦)، ثُمّ قال:

«... فذكَرَ -سُبحانه- مَراتِبَ الدَّعوة، وجعلَها ثلاثةَ أقسامٍ- بحسَب حال=

ما نستطيعُ أن نتكلَّم بكلمة الحقِّ في مسجدٍ من المساجد -وإنْ كُنَّا حاولنا!-، ولكنْ؛ كان نتيجةُ ذلك: أن صُودِرت المساجدُ مِن أيدينا! وسُلِّمت إلى (الأوقاف)!

وبعضُ المساجد جُعلت مثلَ التَّكِيَّة[1]؛ يقومُ بعضُ الناس فيها بما يُسَمُّونه: الذِّكْر! ونُسمِّيه نحن: الرقص[2]!

=المدعوِّ-؛ فإنّه:

* إمّا أنْ يكونَ طالبًا للحقّ، راغبًا فيه، مُحِبًّا له على غيرِه -إذا عرفه-؛ فهذا يُدْعَى بالحِكمة، ولا يَحتاجُ إلى موعظةٍ ولا جِدال.

* وإمّا أنْ يكونَ مُعرِضًا مُشتغِلًا بضدِّ الحق؛ ولكنْ -لو عَرَفَهُ-: عَرَفَهُ وآثَرَهُ واتَّبَعَه؛ فهذا يحتاجُ -مع الحِكمة- إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

* وإمّا أن يكونَ مُعانِدًا مُعارِضًا؛ فهذا يُجادَلُ ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ فإنْ رَجعَ إلى الحقِّ؛ وإلّا: انتقِلَ معهُ مِن: الجِدال إلى: الجِلاد -إنْ أمكنَ-...».

قُلتُ: والمُراد بـ(الجِلاد): الشِّدَّة والإغلاظ.

(١) هي -في الأصل- اسمٌ لِموضعٍ خُصِّصَ لِفُقَراء المُسلِمين.

ثُمّ توسّع مَعناه؛ حتّى صار مكانًا خاصًّا للصُّوفيَّة! -كالزَّوايا-!!

وجَمْعُها: تَكايَا.

وانظُر «تكملة المعاجم العربيَّة» (٢/ ٥٦) -للمُستشرِق دُوزي-.

(٢) وقد ألَّف العلّامةُ إبراهيم بن محمد الحلبيّ (٩٥٤هـ) -في ذلك-=

وكان نتيجةَ الأمر أن لا يُجعلَ المسجدُ دارًا للتوحيد! ولا دارًا للصلاة -الصلوات الخمس-على الأقل!-؛ بل أُغلق، وخُتم بالشمع الأحمر[1]!

ومسجدٌ آخر -أكبر مِن ذلك-: صُودِر بطريق ما يُسمُّونه بالمقاومة الشعبيَّة[2]- لَمَّا حَصَلت بعضُ الحوادث -في بعض المساجد-! فصادروه منَّا!

هذا في (حَلَب)، وبقينا نضطرُّ إلى أن نتدارسَ الكتابَ والسنة في بيوتِنا الخاصة.

ولم يقفِ الأمرُ عند هذا الحدِّ -أيها الإخوان-: بل قد مُنعنا -أيضًا- حتى مِن الاجتماع في دارٍ خاصَّة!

وأنا -شخصيًّا- أَقْطُنُ دمشقَ، ولي اجتماعاتٌ عِدَّةٌ في كل

=رسالةً بعُنوان: «الرَّهْص والوَقْص لمستحلِّ الرقص» -وهي مطبوعةٌ-.

(١) أي: بطريقةٍ رسميَّةٍ صارِمَةٍ.

(٢) ولعلّ ذلك في أواخرِ الاستعمار الفرنسي لسورِيَة -أواسطَ الخمسينيّات الإفرنجيّة مِن القرن الماضي-.

أسبوع -يومِ الخميس، ويومِ الجمعة-، وأُدرِّسُ في يوم الاثنين كتابَ «الترغيب والترهيب»[١].

وهذا كتابٌ مفيدٌ ومُوجِّهٌ -فيما أعتقِدُ-، وبحاجةٍ لجماعة أنصار السنة -كلِّهم- أن يَتَثَقَّفوا بهذا الكتاب؛ لأنكم تشعرون بمعناه: (الترغيب والترهيب)-.

ولكنّ هذا الكتابَ فيه سيِّئةٌ؛ وهو: أنَّه ممتلئٌ بالأحاديث الضعيفة! وبعض الموضوعة[٢]!

ولكنَّ الله -عزَّ وجلَّ- امْتَنَّ علينا وفضَّلَنا -والحمدُ لله- على كثيرٍ مِن العالَمين؛ حيث مكَّنَنا مِن معرفة الحديث الضعيف والموضوع، وتمييزهما عن الصحيح.

ولذلك؛ قبل أن أُلْقِيَ الدرسَ -هناك- مِن «الترغيب والترهيب»-: أُخَرِّجُ الأحاديثَ التي أنا عازمٌ على إلقائها

---

(١) للإمامِ عبد العظيم المُنذري، المُتوفّى سنة (٦٥٦هـ) -رَحِمَهُ اللهُ-.

(٢) وقد بَلَغَ عَدَدُ ما لا يصحُّ مِن أحاديثِه (٢٢٤٨) حديثًا: مِن مُجمَلِ عددِ أحاديث الكتاب البالغة (٥٤٧٢) حديثًا -بحَسَب ترقيم شيخِنا -رَحِمَهُ اللهُ-.

وشرحِها- شرحًا مختصرًا لإخواننا-؛ فأقرأ عليهم -فقط- الأحاديثَ الصحيحةَ والحسَنةَ.

أمّا الأحاديثُ الضعيفةُ؛ فأطوي عنها صفحًا، وأطلبُ مِن إخواني أن يُشيروا عليها بحرف (ض)[1] -على الهامش- حتى -في المستقبل- يكونُ هذا كالمذكِّر لهم.

هذا يومُ الاثنين.

أمَّا يومُ الجمعة -حَسْبَ المناسبات والظروف- : فكنّا نقرأُ لهم -في المدة الأخيرة-: «الروضة النديَّة شرح (الدُّرر البهيَّة)» -للشيخ صِدِّيق حَسَن خان-، وانتهينا منه[2].

فالآنَ: نقرأُ لهم -بَدلًا هذا الكتاب- الرسالةَ التي سبق ذكرُها- «تجريد التوحيد» -للمقريزي-.

ونقرأُ لهم -بعدَه- درسًا في (مصطلح الحديث).

---

(١) اختصارًا لكلمة: (ضعيف)، أو: (موضوع).

(٢) وطُبِعَ (شرحُ) شيخِنا -هذا- بتحقيقي- ولله الحمدُ- في ثلاث مجلَّدات؛ بعُنوان: «التعليقات الرضيَّة على الرَّوضة النديَّة..».

ولكنه درسٌ غيرُ الدروس التي يقرؤها أو يسمعُها طلابُ العلوم الشرعية في المدارس الرسمية -أعني: (المدارس الرسمية)- الشرعية[(١)]-؛ فليست هذه الحلقاتُ أمثالَ تِلكُم الحلقات!

دَرْسُنا في (مصطلح الحديث) يقترنُ معه التطبيق العَمَلي:

نستخرجُ لهم حديثًا مِن أيِّ كتاب مِن كتب السُّنَّة، ونسجّله في (اللوح)[(٢)] بسنده.

ونُطبِّق ما قرأناه مِن تعريف (الحديث الصحيح)، و(الحسَن)، و(الضعيف) على هذا الحديث الذي أمَامنا.

ونفتحُ لهم كتابًا مِن كتب التراجم، ونستخرجُ لهم ترجمةَ كُلِّ رجل، وما قيل فيه -مِن توثيق، أو تجريح، أو تضعيف-[(٣)].

---

(١) وأكثرُها -يومَئذٍ- في (سُورِيَة) -وإلى الآن! -إن لم يكن (كُلّها)-: صوفيّة! أشعريَّة! مَذهبيَّة!

(٢) وهي ما يُعرَفُ -في بعض اللُّغة- بِـ(السَّبُّورة).

وانظرُ «لسان العرب» (٤/ ٣٤١).

(٣) ويتضمَّن ذلك -ولا بُدَّ- النَّظَرَ في السَّماع، والبحثَ عن العِلَل -سندًا=

وبذلك يكون الدرسُ -قبل كل شيء- أشدَّ قبولًا في نفوسهم، وأشدَّ رسوخًا في قلوبهم.

هذا الدرسُ -الثاني- يكونُ درسين -في يوم الجمعة-:

١- درسٌ من «تجريد التوحيد» -للمقريزي-.

٢- والدرس الثاني في (مصطلح الحديث)[1]-هذا في دمشق-.

ولي -في كل شهر -سَفْرَةٌ أسافرُها إلى المنطقة الشمالية من سورية: إلى حلب، وإِدْلِب، وحِمص، واللاذقيَّة.

و.. بَدَأَتِ الدعوةُ -بصورة خاصة- تنتشرُ -بعد حلب- في

=ومَتنًا-.

وهذا منهجٌ علميٌّ عَمليٌّ تَطبيقيٌّ لِعُلُومِ الحديث في ضوء (عِلم التّخريج).

وهو -على هذا النَّسَقِ الدَّقيقِ- سابقٌ لجميع الجامعات العلميّة الإسلاميَّة الّتِي درّست التخريج، ومارسَتْهُ مع طُلّابِها ورُوّادِها -علميًّا وعمليًّا-فيما بَعْدُ-!

(١) وكان هذا الدّرسُ مِن كتاب «الباعث الحثيث» -للإمام ابن كثير-.

وقد حَقَّقْتُهُ -قَبل نحو عشرين سنةً-، ونَشَرْتُهُ في مُجلَّدين -بتعليقات شيخِنا -رَحِمَهُ اللهُ- الّتِي كانَ يَكتُبُها أثناء درسِه -هذا-.

إِدْلِب -وهي تَبْعُدُ عن حَلَب نحو ستين كيلومترًا-.

وكما تعلمون: انقسم الناسُ إلى طائفتين -سُنَّةَ الله في خلقه، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾-.

فَأَخَذَ بعضُ الغوغاء-يدعمُهم بعضُ مَن يتزيَّا بزِيِّ العلماء[1]!- يُشيعون ويُذيعون أمثالَ هذه الافتراءات -التي سبق أن تحدَّث الأستاذ الكريم[2] عنها-:

فلانٌ وهَّابيٌّ!

فلانٌ يُنكر الصَّلاةَ على الرَّسول!

فلان يُنكر الكرامات!

فلان يُنكر الأئمّة..

... إلى آخِر ما هنالك مِن الافتراءات!

---

(١) وآفَةُ هؤلاءِ -والشَّرُّ المُترتِّبُ عليهم!-: أكثرُ مِن آفَةِ أولئك -بكثيرٍ-وفي كُلِّ شرٍّ!-!

(٢) يَقصدُ: الشَّيخَ محمد حامد الفِقي -رَحِمَهُ اللهُ-.

وكان نتيجةَ ذلك: أن تقدَّم مُفتي منطقة (إدلِب) بمضابطَ[1] عديدةٍ إلى المُحافِظِ -في (حلب)-،ثم إلى العاصمة-وهي دمشق-!

وهو -في كُلِّ مَرَّة!- يعود بخُفَّي حُنَين[2]؛ إلا في المرة الأخيرة: نجح!

وذلك من طريقِ مُفتي الجمهورية السورية[3] -وهذا المُفتي هو -قبل كل شيء- حنفيّ المذهب! ومتعصِّبٌ جدًّا!

ومِن هنا يَظهر لكم أنه لا يُمكن أن يَلتقيَ معي! ولا يُمكنني -ألبتَّة- أن ألتقيَ معه!

فمُجرَّدُ ما جاءت المَضبطةُ إليه: أن فُلانًا يأتي إلى (إِدْلِب) -كُلَّ

---

(١) مُفردُها: (مَضبطة).

وهي: سِجِلٌّ يُعترض فيه -رَسميًّا- على شَخصٍ مُعيَّن، ويُطالَب -مِن خلالِه- بالحُضور إلى المَسؤولين.

وهي كلمةٌ مُحْدَثَةٌ -كما في «المُعجم الوَسيط» (١/ ٥٣٣)-.

(٢) مَثَلٌ عربيٌّ مَشهورٌ؛ يُضرَبُ فيمَن كان سَعْيُهُ خائبًا بغيرِ فائدةٍ!

(٣) وكان المُفتي -يومَذاك- هو الطبيبَ المُفتِي أبا اليُسْر عابدِين -المُتوفَّى سنة (١٩٥٧) -إفرنجيّة-.

شهر-، ويقضي فيها ليلةً، ثم ينتقل إلى منطقة كذا وكذا: كَتَبَ أمرًا إلى (وزارة الدَّاخلية): يُطالِبُ بمَنعي مِن التدريس[١]!

وبالفعل: استُجلِبتُ أنا إلى الوزارة-أعني: إلى مدير الشرطة-، وقرأ على مسامعي المضبطةَ، وما فيها من افتراءات وأكاذيب! وشهادة المفتي بذلك!

وهو يطلب أمورًا غريبة -جدًّا-! هو يطلب -قبل كل شيء-: منعي من التدريس! ويكتفي -مِن ذلك- بِمنعي من لُبْس الكِسوة العلمية[٢]!

والشيءُ الأغربُ مِن هذا: أنّه طَلَبَ من وزارة الداخلية: نَفْيِي من البلد -دمشقَ- إلى منطقة نائية!

---

(١) وهكذا حالُ أهلِ العِلمِ في كثيرٍ مِن الأزمِنَةِ والأمكِنَةِ.

وأكبرُ مِثالٍ على ذلك: شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-؛ فكَم ابتُلِي! وكَم سُجِن! وكَم عُذِّب!

(٢) وهو لِباسٌ معروفٌ مُعَيَّنٌ-تِلكُم الأيّامَ- كان يتميَّزُ به طُلّابُ العِلم الشَّرعيّ والعُلماء -وإنْ كان لِكُلٍّ منهما لِباسٌ خاصٌّ به-.

ويظهرُ أنَّ المسؤولين -هناك- عقلاءُ[١]، وهم -في عقلهم- فوق مَن يطلبُ مثلَ هذا الطلبِ! فاكتَفَوْا بتنفيذِ الأمر الأول للمُفتي؛ وهو: منعي من التدريس.

فأنا بحثتُ مع الموظَّف الكبير هذه القضيةَ:

لِـماذا تمنعني من التدريس؟! أنا لستُ موظفًا[٢] في (الدولة)، ولست موظفًا في (الأوقاف) -حتى أُمنعَ من التدريس، وحتى يكونَ للمفتي سُلْطَةٌ عليّ-!؟

قال: المُفتي له أمرٌ، وهو موظَّفٌ رسميٌّ، وله أن يمنعَ مَن شاء، ويأمرَ مَن شاء.

قلت: طيِّب؛ أنا لو أعملُ دروسًا في المساجد قد يُقال: هذا المَنعُ معقولٌ! لكنْ؛ أنا أعمل دروسًا في الدُّور؛ لأني أعرفُ أنِّي إذا عملتُ دروسًا في المساجد سوف أُمنَع -بالكلية- مِن الكلام!!

---

(١) يومَئذٍ!

(٢) كَم مِن مرَّةٍ سمعتُ شيخَنا -رَحِمَهُ اللهُ- يَفْخَرُ -حامدًا ربَّه- سُبحانَه- بأنَّه: لَم يَكُن -يومًا- مُوظَّفًا (عبدًا لغير الله -تعالى-) -مُقيّدًا بوظيفةٍ-!

خلاصةُ القول:

بالفعل: مُنِعْتُ من التدريس؛ ولكني -والحمد لله- ما مُنعتُ مِن السفر- يعني: غَضُّوا النظرَ عن الطَّلَب الثّاني-.

ولذلك؛ أنا -مع الأسف الشديد- أقول لكم:

مُضْطَرٌّ أن أسافرَ شهرًا، وأَدعَ شهرين، لأني إذا سافرتُ: الغايةُ هو الاجتماعُ، وإذا اجتمعتُ: فالعيونُ -عيونُ الجماعةِ[1]- طبعًا!- حاضرةٌ!

فأريدُ أن أتحاشى الاصطدامَ مع الأمر القانونيِّ؛ حتى أتمكَّن أنْ أَسِيرَ في هذه الدعوة.

وجرى -في الأخير- أني ذهبتُ -منذ شهرين -إلى (إِدْلِب)-، وأثناءَ بعض المجالِسِ: جاءت الشُّرْطَةُ تطلبُ أسماءَ الحاضرين- كأنَّنا مجرمون!-!

(١) يقصد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: مسؤولي الدّولة السُّوريّة -يَوْمَئِذٍ- مِن الصُّوفيّة -وأعوانهم-.

بل جاء رئيسُ المَخْفَر[١] يطلبُ فَضَّ المجلسِ -وفيه نحوُ نصف هذا الحشد المبارَك[٢]-!

ولكنْ -الحمد لله-: المجلسُ ما انفضَّ، واستمرَّ البحثُ -فيه-، والنُّصْحُ، والإرشادُ- حتى الساعة الثانية عشرة -تقريبًا-.

ولكنِّي لا أزالُ -بصفة قانونيَّة- ممنوعًا مِن التدريس حتّى في البيوت؛ لا في المساجد، ولا في حفل عامٍّ -كحفلكم- هذا- المبارك-فقط-!

ولذلك؛ نحن -في الحقيقة- أقولُ مرةً أخرى-: نغبِطُكم على أنّكم تستطيعون أن تجتمعوا بصراحة، وأن تُذيعوا الحقَّ إلى أبعدِ مكانٍ يُمكِنُ أن يصلَ إليه صوتُ الحقّ.

وعسى الله -عزَّ وجلَّ- أن يرفعَ عنا ذلك القيدَ؛ حتى نستطيعَ أن نحذُوَ حَذْوَكم، وأن نسيرَ سِيرَتكم.

---

(١) هو مَركزُ الشُّرطة.

(٢) في هذا إشارةٌ إلى أَنَّ مُحاضرة شيخِنا في (القاهرة) حَضَرها عددٌ كثيرٌ -ولله الحمدُ-.

ولعلَّ في هذا القدر كفايةً -والليلُ ليلٌ حارٌّ شديدُ الحرِّ-.

فحسبيَ أنني أَلْتقي بكم ونحن -جميعًا- على عقيدةٍ واحدةٍ، وعلى مَشْرَبٍ واحد(١).

وإخوانُنا -بالطبع- هناك(٢) -جميعًا- يُبلِّغونكم السَّلامَ السَّلفيَّ النقيَّ الطاهرَ.

وسلامُ الله ورحمتُه عليكم(٣).



---

(١) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾.

(٢) في (سُورِيَة).

(٣) هذا آخِرُ ما بَلَغَنا تَسجيلُه مِن كلامِ شيخِنا -رَحِمَهُ اللهُ- في ذلك المكان والزَّمان-.

ومَن عندَه زيادةُ عِلْمٍ حول هذا الأَمْرِ -وما إليه-؛ فَلْيُوافِنا بِهِ -مَشكورًا مَأجُورًا-.



كلمة ختامية

للشيخ محمد حامد الفقي

-رَحِمَهُ اللهُ-

استمعتُم إلى هذه الكلمة الطيِّبة التي ألقاها الأخ المحدِّث السَّلفي الجليل الشَّيخ محمد ناصر الدين الألباني -محدِّث الديار الدمشقيَّة-.

وما أظنُّكم إلا قد أَحْسَسْتُم كأنَّما كنتم تعيشون مع الأخ منذُ زمنٍ طويل!

وما أظنُّ -أيضًا- إلا أنَّ الأخ قد أحسَّ أنه يعيشُ معكم منذُ زمن طويل!

وهكذا الإسلامُ الصادق؛ رَحِمٌ قويٌّ بين أهله؛ بل هو أقوى

الأرحام بين المسلمين -جميعًا-؛ لا يفرِّق بين المسلم والمسلم دارٌ، ولا وطنٌ، ولا صحراءٌ، ولا تِيهٌ -ولا غير ذلك-: ما داموا يلتقون -جميعًا- على كتاب الله، وسُنة رسولِه -عليه الصلاة والسلام-[1].

وأقولُ لأخي الكريم:

نَعَم -ولله المِنّةُ، ولله الفضلُ الكبير-: أننا -هنا- في القاهرة- ننشرُ دعوةَ الله بِحرِّيَّةٍ تامَّةٍ كاملةٍ؛ نسيرُ هنا وهناك، ونكتُبُ، ونَخطُبُ، ونَجِدُ العَوْنَ -بحمد الله رب العالمين- في كل مكان.

لا يقفُ في طريقنا عَقَبَةٌ؛ إلا هذه الشائعات المفتريات التي يُشيعها عُبّاد الأوثان[2]!

وهي ليست عَقَبَاتٍ -إن شاء الله-.

أما الإدارةُ، ورجالُ الإدارةِ -وغيرُه وغيرُه -كلُّهم -في دعوة الله، وفي سبيل الله ربِّ العالمين-: نَسيرُ في كل مكان، ونَخطُبُ،

---

(١) اللهمَّ أَحيِنا على ذلك، وتَوَفَّنا عليه.

(٢) يَقصدُ -رَحِمَهُ اللهُ- أولئك الصُّوفيَّة المُستغيثين بغير الله العليِّ الغَفور، واللّائذين بالأضرحة والقُبور... وبِوَاقِعِ الأُمور ذَواتِ الشُّرور!

ونكتبُ - بِحريَّةٍ تامَّةٍ مكفولة-.

ونسأل الله أن يَهَبَ لكم -هنالك -أيضًا- ذلك الخيرَ الوفيرَ العميمَ -بإذن الله-.

وَفَّقَنَا اللهُ وإياكم إلى ما يحبُّه ويرضاه.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





كلمة أخرى(١)

بسم الله، والصلاة والسَّلام على رسول الله.

فالحقُّ أني سَعِدْتُ -الليلةَ- مرتين:

- مرّةً بلقاء الأخ ناصر الدين الألباني.

- ومرّةً أخرى -حيث تعرَّفتُ عليه بالغيب-؛ فقد تعرَّفتُ عليه في مكة المكرمة؛ إذ حدَّثني عنه الشَّيخ محمد نسيب الرِّفاعي[٢]

(١) يَقَعُ في قَلْبِي -مِن خلالِ طلاوة الأسلوب الإنشائيِّ ورِقَّتِهِ- لهذه الكلمة- أنَّها: للعلَّامة الشيخ عبد الرحمن الوكيل -المُتوفَّى سنة (١٣٩٠هـ)- رَحِمَهُ اللهُ-.

والله -تعالى- أعلمُ.

(٢) رَحِمَ اللهُ شيخَنا أبا غَزْوان؛ فقد كان نِعْمَ المُربِّي، ونِعْمَ الدّاعية، ونِعْمَ المُوحِّد الغَيُور، ونِعْمَ المُعلِّم.

وقد كان له -رَحِمَهُ اللهُ- جُهودٌ كبيرةٌ في نَشْرِ الدّعوة السَّلَفِيَّة في سُورِيَة=

-رئيس (أنصار السنة)- في حلب-:

وحدَّثني عن شدَّة بلائه، وعن قـوَّة يقينـه، وعـن طُهْـر قلبـه، وعن زَكاةِ نفسِه، وعن قوَّة إرادتِـه، وعـن وُقوفِـه في ميـدان الحـقِّ مكافِحًا -ومجاهدًا- لأولئك الـذين يجعلُـون مـن أنفـسهم جُنـودًا للشيطان؛ يُحاربون جنودَ الرحمن!

ولكـنَّ الغَلَبَـةَ -بـإذن الله- لِمَـن يَنْـصُرُونَ سُـنَّةَ رسـول الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

ومهما اشتدَّ البلاء، ومهما زاد الكَرْبُ: فإن الله نـاصرُه، وإن الله -بإذنه- مُؤيِّدُه، وإنه مُعزِّرُه[1]، ومُوَقِّرُه.

عَرَفْتُه في أخبارِه، وفي بلائه.

=-عُمومًا-، وفي حلب -خُصوصًا-.

له مُؤلَّفاتٌ عِدّة؛ مِنها: «تيسير العليّ القدير في اختصارِ (تفسير ابـن كثـير)»، و«التّوصُّل إلى حقيقة التّوسُّل» -وغيرها-.

وُلِـدَ -رَحِمَهُ اللهُ- سَـنَةَ (١٣٣٣هــ) -في (حَلَـب)-، وتُـوُفِّيَ في الأردن -سَـنَةَ (١٤١٣) -عن ثمانين عامًا- ودُفِنَ فيها-.

وقد كُنتُ أحدَ مُغَسِّلِيه -غُسْلَ المَوتِ- رَحمةُ الله عليه-.

(١) أي: مُعظِّمُه.

وعرفتُه -أيضًا- في كتابِه؛ فقد بدأ في تأليف كتابٍ عن «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، وقد قرأتُ أولَ نسخةٍ منه، واستفدتُ منهُ -كثيرًا-.

وأسألُ اللهَ أن يُعِينَه[1] على إتمامِ تأليفِ هذا الكتابِ ونشرِه -لِما فيه مِن خيرٍ وبركة-.

نعم؛ تعرَّفتُ عليه بالغيب، وَهَأنذا أتعرَّفُ عليه عن قُرْب.

نعم؛ أحببتُه عن بُعْد، وَهَأَنذا أُؤكِّدُ الحبَّ له عن كَثَب.

وَهَأَنَذَا -أيضًا- أَتعرَّفُ عليه، وأُعرِّفُكم به، ونتعرَّفُ -جميعًا- عليه؛ لأننا أُمِرْنا أن نتعارفَ[2]، وكيف لا نتعارفُ مع مَن أحبَّهم الله؛ إذ أحبُّوا الله، فاتَّبعوا رسولَ الله ﷺ؟!

نعم؛ كُلُّنا ناصرٌ للسنة، وكلُّنا مُدافعٌ عن التوحيد...

لماذا؟!

---

(١) وقد كَمَلَ طَبْعُ هذا الكتابِ المُبارَكِ -بموتِه- رَحِمَهُ اللهُ -بأجزائِه الأربعة عشر.

(٢) بالمعنى العامِّ؛ كما قالَ ربُّنا -سُبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

لخير البشرية.

لماذا؟!

لمصلحة الإنسانيَّة.

لماذا؟!

لسعادة الدنيا.

لماذا؟!

لرَغَد العيش.

لماذا؟!

لنعمة الحياة.

فلن تنعمَ الحياةُ، ولن تسعدَ الدُّنيا، ولن تطمئنَّ البشريَّة، ولن تهدأَ الإنسانيَّة: إلا إذا اتَّجهت إلى التوحيد...

إلا إذا الْتَجَأَتْ إلى الله -وحدَه- تعبُدُه، وتأخُذُ حظَّها مِن كتابه، وتتّبعُ رسولَه.

وبذلك تطمئنُّ القلوبُ.

وبذلك تهدأ النُّفوسُ.

وبذلك يستريحُ البالُ.

وبذلك يستقرُّ الحالُ.

وبذلك يستقرُّ الأمنُ، ويسودُ النظام.

فإن كان لأمّـةٍ -أو لحكومـةٍ، أو لدولـة-: هـدفٌ في أن تَنْـشُدَ السَّلامَ: فلا بُد لها أن ترجعَ إلى كتاب الله تـستفتيه، وإلى رسـول الله تستهديه.

ألـيس هنـاك -أيتهـا الدولـةُ! أو: أيتهـا الأُمّـةُ[1]! أو: أيهـا الشعبُ!-: أنكم تَشْكُون -اليومَ- من الحوادثِ!

أنكم تَألَمون!

أنكم تَفزعون؟!

ففي كلِّ يوم قتلٌ!

وفي كل ساعة فضيحةٌ!

وفي كل لحظةٍ تمزيقٌ للشَّرَف!

(١) وهذا خِطابٌ عامٌّ؛ للحاكِم والمحكُوم -سواءً-.

وهَتْكٌ للعِرْض!

وفسادٌ في الأَرْض!!!

والحكومةُ تشتكي، والأُمَّةُ تبكي، والشعبُ -كلُّه- يحزن ويَفْزَعُ مِن تلك الحوادثِ!

ما السبيلُ إلى منعها؟!

ما السَّبيلُ إلى دَرْئِها؟!

ما السبيلُ إلى القضاء عليها:

أن تُوْقِظَ الضَّميرَ، وأن تُحيِيَ القلوبَ، وأن تَرويَ بِذْرَةَ الإيمان.

ولا رِيَّ لِبِذْرة الإيمان إلا مِن كتاب الله، ومِن سُنة رسول الله ﷺ.

لذلك؛ يُحدِّثُنا رسولُ الله -عليه الصَّلاة والسَّلام- عن القرآنِ؛ فيُصَوِّرُهُ في الناس، فيقول: «**مَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ بِه مِن الهدى والعلم؛ كمثل غيثٍ أصابَ أرضًا...**»[1].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٧٩)، ومُسلمٌ (٨٨٢).

=

= وهذا نصُّه -كاملًا-:

عن أبي مُوسى الأشعريِّ -رضي اللهُ عنهُ-، قال:

قال رسولُ الله ﷺ: **«مَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ به مِن الهُدَىٰ والعِلمِ؛ كمَثَلِ الغيثِ الكَثيرِ، أصابَ أرضًا:**

فكان مِنها نقيَّةٌ؛ قَبِلَت الماء، فأنبتَت الكَلأَ والعُشبَ الكَثيرَ.

وكانت منها أجادِبُ؛ أمسكَت الماء، فنَفَعَ اللهُ بها النّاسَ، فشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا.

وأصابَت مِنها طائفةً أُخرَىٰ إنّما هي قِيعانٌ؛ لا تُمسكُ ماءً، ولا تُنبتُ كَلأً.

فذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ في دينِ الله، ونَفَعَهُ اللهُ بِما بَعَثَني اللهُ به، فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَم يَرْفَعْ بذلك رأسًا، ولَم يَقْبَلْ هُدَىٰ الله الّذِي أُرسِلْتُ به».

قال الإمامُ ابنُ الجَوزيّ في «كشف مُشكِل الصَّحيحَين» (١/ ٤٠٩):

«وهذه أَمثالٌ ضُرِبَت:

فالأوّل: لِـمَن يَقبل الهُدَى ويُعَلِّم غيرَه، فينتفعُ وينفعُ.

والثاني: لِـمَن يَنفع غيرَه بالعِلم ولا يَنتفِع.

والثالث: لِـمَن لا يَنْفَع ولا يَنتفِع.

ويحتمل أنْ يُشارَ -بالطائفة الأُولى- إلى: العلماء بالحديث والفقه؛ فإنّهم حفظوا المنقول، واستنبطوا، فعَمَّ نَفْعُهُم.

ويُشارُ بالطّائفةِ الأُخرَى إلى: مَن نَقَلَ الحديثَ ولَم يَفْهَم مَعانيَه، ولا تَفَقَّهَ به؛=

نعَم، مَثَّله بالماء؛ لأن القرآن والماء يَنزلان من السماء.

نعَم، شبَّهه بالماء؛ لأن الماء يَنزلُ غيثًا على الأرض، ولأن القرآن يَنزلُ غيثًا على النفس والقلب.

نعم؛ يَنزلُ على النفس والقلب؛ فيُحيي مواتَهما، ويبعثُ الحياةَ مِن جديد، ويُوقظُ الضميرَ، ويفتحُ العيونَ العُمْيَ، ويفتحُ الآذانَ الصُّمَّ، ويُرقِّقُ القلوبَ الغُلْفَ.

ثم يَجعلُ مِنْ فَوْقِ النَّفس عَقْلًا، ويجعلُ مِن فَوْقِ العقل قلبًا، ويجعلُ مِن فوقِ القلب ضميرًا:

فكُلَّما دَفَعَتْكَ النفسُ إلى شهوةٍ، أو إلى لذَّةٍ، أو إلى عَرَضٍ مِن أعراض الدُّنيا: كان العقلُ مِن فوقها رقيبًا.

=فهو يَحفظُ الألفاظَ، ويَنقلُها إلى مَن يَنتفعُ بها.

ويُشارُ بالقِيعان إلى: مَن لم يتعلَّق بشيءٍ مِن العِلْم».

قُلتُ:

والاحتمالُ الثّاني أقربُ إلى الصَّواب.

وهو ما رجَّحَهُ الإمامُ ابنُ قيِّم الجوزيّة في «مِفتاح دار السَّعادة» (١/ ٦٠).

فإنْ ضَحِكَتْ على العقل ورَكِبَتْهُ: كان القلبُ مِن فوقهما حسيبًا.

فإنْ كان القلبُ -أيضًا- غافلًا: كان الضميرُ مُتيقِّظًا.

ولا يُوقِظُ الضَّميرَ، ولا يُطهِّرُ القلبَ، ولا يُزكِّي النَّفسَ: منهجٌ، ولا قانونٌ، ولا مَبدأٌ -ولا سواه!-؛ إنَّما يُوقِظُ الضميرَ: الذي خَلَقَ الضَّميرَ...

إنَّما يزكِّي النفسَ والقلبَ: اللهُ -لا إله إلا هو الحي القيُّوم-.

فاتَّقوا اللهَ في أنفسِكم، واتْرُكوا أنصارَ سُنَّة رسول الله يَبعثون في القلوبِ حياةً كريمةً مِن جديد:

حياةً لا تعرفُ الجريمةَ...

حياةً لا تعرفُ الفسادَ...

حياةً لا تعرفُ إلا الخيرَ تندفعُ إليه:

تندفعُ بِكُلِّيَّتِها... بكل مشاعرها... وبكل أحاسيسها:

نحو الخير... ونحو البِرِّ... ونحو الحقِّ... ونحو الصِّدق...

ونحو السَّعادة... ونحو الهناء...

فلن تسعدَ الأمَّةُ، ولن يستقرَّ الأمنُ، ولن يستتبَّ النظامُ، ولن يتحقَّقَ العدلُ، ولن يَسودَ السَّلامُ؛ إلا إذا حقَّقنا كتابَ الله، وإلا إذا حكَّمنا الواحدَ الديَّان.

والسَّلام عليكم ورحمة الله[1].

---

(١) وقد تَمَّ الفَراغُ مِن ضَبْطِ هذه الرِّسالة، والتَّعليق عليها: في مجالِسَ؛ آخِرها: بَيْنَ الظُّهر والعَصر مِن يوم الأربعاء: ١٠ - شعبان - ١٤٣٤هـ.

ثُمَّ راجعتُها في مجالِسَ أُخَرَ -كان خِتامَها بَيْنَ السَّماءِ والأرض -في طائرةِ العَودة مِن الرِّحلة العِلميَّة الأندونيسيَّة الثالثةَ عشرةَ-: بتاريخ: ٢١/ شعبان/ ١٤٣٤هـ-.

والحمدُ لله على البَدْءِ والخِتام.

وكَتَبَ

علي بن حسن الحلبي الأثري

عمّان - الأُردنّ

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

مقدمة التحقيق ٣

نصُّ كلام مجلّة «الهدي النبوي» عن زيارةِ شيخِنا ٧

ذِكْرُهم مُحاضرةَ شيخِنا وأثرَها ٨

خَبَرُ حَفْلِ تكريمِ شيخِنا -رَحِمَهُ اللهُ- ٩

الكلام حول «محاضرة» الشيخ نسيب الرفاعي -رَحِمَهُ اللهُ- ١٠

كلامُهُم حول بعض مُؤلَّفات شيخِنا الّتي أهداهُم إيّاها ١١

الإشارة إلىٰ منهج كتابِ «سسلسلة الأحاديث الضّعيفة...» ١٣

خِتام «المقدمة» ١٤

مقدّمة الشيخ محمد حامد الفِقي -رَحِمَهُ اللهُ- ١٣

الإشارة إلىٰ اتِّهامات أهل البِدع والغوغاء لأهل السُّنّة ١٦

كلمة العلامة الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني-رَحِمَهُ اللهُ- . ١٩

نصُّ خطبةِ الحاجة -النبويّة-، وفوائد حولَها ٢٣

معنىٰ «(كُل) بدعة ضلالة» ٢٧

أَصلَا (الإسلامِ) المهمَّان ٢٨

هل اعتقاد أنّ الله هو (الخالق) -فقط- يُنجِي؟! ٢٩

الموضوع	الصفحة
لا يُعقَل وُجود ذاتَيْن تتصرَّفان في الكَون	٣١
تواضع شيخنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-	٣٢
(توحيد الألوهيّة)، و(توحيد الربوبيّة) وارتباطُهُما ببعض	٣٤
شرك الجاهلية الأولىٰ	٣٦
معنىٰ (العبادة)	٣٧
كلام العلامة المقريزي في كتابه «تجريد التوحيد المفيد»	٤٠
حديثُ عَدِيّ بنِ حاتِم -المشهور-، والكلام عليه	٤٢
«مَن استحسنَ فقد شَرَعَ»	٤٣
الفَرْق بَيْن (التوسُّل)، و(الاستغاثة)	٤٤
المطلوبُ الأعلىٰ مِن دُعاة السُّنّة -اليوم-	٤٦
الإشارة إلىٰ سُوء أوضاع (سُورِيَة) -قبل خمسين سنةً-	٤٧
أصناف الناس في استعمال (الحكمة) معهم	٤٩
كلمةٌ حول كتاب «الترغيب والترهيب» -للمُنذِرِيّ-	٥٢
قواعد التطبيق العملي لأصول (علم التخريج)	٥٤
الإشارة إلىٰ بعض ما ابتُلِي به شيخُنا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-	٥٨
كلمة ختاميّة للشيخ محمد حامد الفِقي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-	٦٣
كلمة أخرى	٦٧
فهرس المحتويات	٧٧



دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع

الإدارة : مجمع المخيال - هاتف ٠٠٩٦٥٩٦٩٩٩١٨٢

الفرع الأول : الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول مكتب ١٠ هاتف ٢٤٥٥٧٥٥٩

الفرع الثانى : حولى - شارع المثنى ، هاتف وناسوخ : ٢٢٦٤١٧٩٧